قصص

@ketab_n
Follow Me
12.9.2015

كيف كُتبت الرسالة الأولى

إيتالو كالفينو/ أنطوان تشيخوف
ترومان كابوتي/ روديارد كبلنغ
طاغور

ترجمة
عائشة الكعبي

أزمنة

كيف كُتبت الرسالة الأولى

إيتالو كالفينو/ أنطوان تشيخوف
ترومان كابوتي/ روديارد كبلنغ
طاغور

ترجمة

عائشة الكعبي

Twitter: @ketab_n

كيف كُتبت الرسالة الأولى

Twitter: @ketab_n

كيف كُتبت الرسالة الأولى

ترجمة عائشة الكعبي (كاتبة من الإمارات)

الطبعة الأولى : 2011

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق ©

أزمنة ®

أزمنة للنشر والتوزيع
تلفاكس : 5522544
ص.ب: 950252 عمّان 11195
شارع الشريف ناصر بن جميل ، عمارة 55 (الدوحة) ، ط4

info@azminah.com
info@azminah.net
Website:http://www.azminah.com

All righ reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in all retrieval system or trasmitted in any form or by any mean wiothout prior permissionin writtingof the publisher.

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

الغلاف : لوحة باتيك من التراث الهندي وعنوانها:
«شاكونتالا تكتب رسالة إلى الملك دوشانتا»
تصميم الغلاف : أزمنة (إلياس فركوح)
التنضيد والإخراج الداخلي : أزمنة (إحسان الناطور)
الطباعة :مطبعة السفير / عمان ـ الأردن
تاريخ الصدور : تموز/ يوليو 2011

Twitter: @ketab_n

الإهداء

إلى من يتكئ على قلبها عالمي..

إلى أمي

عائشة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفهرس

إيتالو كالفينو 9

الرجل الذي هتف تيريزا 13

الخروف الأسود 17

ضمير 21

تضامن 25

ومضة 31

الإطاحة بالرؤوس 35

أنطوان تشيخوف 43

حكاية سيدة 47

الرّهـان 55

ترومان كابوتي 67

ميريـام 69

روديارد كبلنغ 89

كيف كتبت الرسالة الأولى 93

طاغـــور 107

عـــودة 109

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Italo Calvino

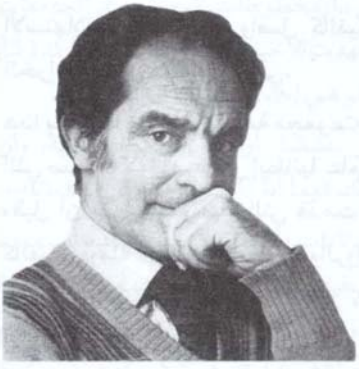

كالفينو .. نبع لا ينضب ..!

«يكتب المرء القصص الخرافية في فترات الاضطهاد والقمع، إذ يتعذّر عليه كسْوَ فكْره بطابع الشفافية، فتراه يلجأ إلى القصص الخرافية كمتنفسٍ للبوح».

هذا ما دوّنه إيتالو كالفينو في دفتر ملاحظاته وهو لمّا يكمل العشرين ربيعًا بعد، حيث انتهج طريق الأدب وهو لا يزال صبيًا، فكتب القصص القصيرة والحكايا الخرافية والشعر والمسرحيات. كان آنذاك يعشق المسرح، فسخّر خلاصة نتاجه الأدبي له. إلا أن قدرته الفائقه على النقد الذاتي قد حولت وجهته من المسرح إلى نمط أدبيّ آخر أعلن عنه في رسالة أرسلها لصديقه (سكالفاري) عام 1945 حين كتب جملة واحدة بحروف كبيرة غطّت صفحة بأكملها، كان نصها: «قد اتجهت إلى القص».

ومذ ذاك لم يمر على كالفينو يومٌ لم يكتب فيه. كان يكتب في جميع الأمكنة وفي شتى الأحوال، على مكتب أو على ركبته، في الطائرات وفي غرف الفنادق.. ولا غرو

Twitter: @ketab_n

أنْ خلّف هذا الكم الهائل من الأعمال الأدبية بما فيها من قصص لا تعد ولا تحصى. وخلافًا لفحوى مقولته الاستهلالية آنفًا، فقد واصل كالفينو كتابة القصص الخرافية طوال مشواره الأدبي.

هذا بعض ما ورد في مقدمة مجموعته «أرقام في العتمة» التي صدرت لأول مرة في إيطاليا عام 1993 تحت عنوان «قبل أن تقول : مرحبا» التي قدمت لها السيدة إيسثر كالفينو أرملة الكاتب الإيطالي والروائي المعروف إيتالو كالفينو، الذي ولد عام 1923 في كوبا لعائلة إيطالية الأصل، ما لبثت أن غادرت كوبا إلى موطنها الأصلي حيث قضى كالفينو جلّ سنين عمره. كان والده عالم نبات وله شقيق هو (فلوريانو كالفينو) ذائع الصيت في حقل علم الجيولوجيا. انتقل كالفينو إلى تورن عام 1943 حيث التحق بجامعة تورن وشكل برفقة صديق طفولته (سكالفاري) حركة الجامعيين الأحرار.

بعد تخرّجه من الجامعة التحق بالعمل في صحيفة شيوعية، إذ كان قد انضم قبلها إلى الحزب الإيطالي الشيوعي الذي أعلن انسحابه منه لاحقًا إثر الاجتياح السوفييتي للمجر عام 1956.

أما فيما يتعلق بحياته العاطفية؛ فقد ارتبط كالفينو بعلاقة غرامية في مطلع الخمسينيات امتدت لثلاثة أعوام مع الممثلة الإيطالية إلسا دي جيورجي التي كانت تكبره سنًا عدا عن كونها متزوجة أيضًا. وقد أثير عام 2004 جدل واسع في الأوساط الثقافية والسياسية في إيطاليا حول نشر صحيفة كوريرا دي لاسيرا لمقتطفات من هذه الرسائل التي لم تعلن الصحيفة عن كيفية

Twitter: @ketab_n

حصولها عليها. علماً بأن السيدة دي جيورجي قد أودعت الرسائل كاملة في دارمخطوطات تتبع لإحدى الجامعات الإيطالية بعد أن تعهدت الأخيرة بعدم الكشف عنها لمدة 25 عاماً. يقول كالفينو في إحدى رسائله لها:

«أريد أن أكتب عن عشقنا، أريد أن أعشقك كتابةً، وأن أستحوذ على عشقك فيما أنا أكتب.. وهذا كل ما هنالك».

وقد زار كالفينو الولايات المتحدة الأمريكية لمدة استمرت ستة شهور التقى فيها لأول مرة بالمترجمة الأرجنتينية الأصل إيستر سنجر (تشيشيتا) التي تزوج منها بعد لقائهم هذا ببضعة أعوام أثناء زيارته لمسقط رأسه في كوبا واجتماعه بتشي جيفارا.

جدير بالذكر أنّ كالفينو كان قد عهد بمجموعة مقابلات مصورة له إلى أحد المخرجين الكنديين أثناء زيارة الأخير له في منزله في روما عام 1983، وتعد شرائط الفيديو هذه المصدر الرئيس لفيلم وثائقي ضخم أنتجته شبكة تلفزيون (ARTE) وهي شبكة تلفزيون فرنسية ـ ألمانية تعنى بشؤون الأدب والثقافه. وفي ليلة خريفية من شهر سبتمبر عام 1985 لفظ كالفينو أنفاسه الأخيرة في المشفى العتيق لسانتا ماريا ديلا سكالا متأثراً بنزيف دماغي حادّ. وإن كان نبع كالفينو قد توقف عن ضخ فنه في حجر العالم، فإنه من حسن الطالع أنّ العالم لا يزال قادراً على اغتراف كل جديد من هذا النبع.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الرجل الذي هتف: «تيريزا»

نزلتُ عن الرصيف، تقهقرتُ بضع خطوات إلى الوراء وعنقي مشرئبة نحو الأعلى، ومن منتصف الشارع، قوّست كفاي حول فمي مثل البوق وصحت باتجاه الطوابق العليا للمجمع السكني:

«تيريزا..!»

ذعر ظلي من القمر فربض بين قدماي. مَرَق شخص ما. هتفت مجدّدًا:

«تيريزا..!».

تقدم الرجل مني وقال: «إن لم تصح بصوت أعلى فلن تتمكن من سماعك، دعنا نحاول معًا. حسنًا، سأعد إلى ثلاثة وبعد الثلاثة نصرخ معًا». ثم قال «واحد، اثنان، ثلاثة» فهتفنا معًا :

«تيرييييزاااا».

رآنا جمع من الأصدقاء كانوا في طريق عودتهم إما من المسرح أو المقهى.

Twitter: @ketab_n

بادرونا قائلين: «هيا، نحن أيضًا سنضم أصواتنا إليكم» والتحقوا بنا حيث كنّا وقوفًا في وسط الطريق.. ثم قال الرجل الأول : «واحد، اثنان، ثلاثة» بعدها صاح الجميع :

«تي - ريييي - زاااا..!!»

شخص آخر كان عابرًا فانضم إلينا، وفي غضون ربع ساعة تحلّقت حولي عصبة من الرجال، قرابة العشرين. ولا يزال أشخاص جدد يتقاطرون صوبنا. لم يكن تنظيم أنفسنا للوصول إلى الصيحة المثلى بالمَهمة السهلة، كان هنالك دومًا من يبدأ قبل الثلاثة أو من يمد صيحته أكثر من الآخرين، إلا أنّنا في النهاية تدبّرنا أمرنا بشكل جيد نوعًا ما. اتفقنا على أن نهتف المقطع «تي» بنغمة منخفضة ممدودة، ومقطع «ري» بصرخة عالية مطولة، ولتكن «زا» بدرجة منخفضة قصيرة. بدت رائعة، باستثناء مشاكسات طفيفة كانت تنشب بين الحين والآخر إذا ما شذّ أحدنا عن اللحن.

كنّا في سبيلنا لإتقان النغمة، حين سأل أحدهم بصوت لو أردت مطابقة وجه عليه، لاخترت له وجهًا منمشًا لا محالة. «إنما هل أنت واثق من وجودها بالمنزل؟»

أجبت: «لا»

«هذا سيئ» قال آخر «قد نسيت مفتاحك، أليس كذلك؟»

« في الواقع» دمدمت «إن مفتاحي بحوزتي».

«إذن؟!» سأل بعضهم «لم لَم تصعد؟!»

«هاه..!! لكني لا أقطن هنا» أجبتهم. «أنا أقطن في الطرف الآخر من المدينة».

Twitter: @ketab_n

«حسنًا إذن، اغفر لي فضولي» سأل الرجل ذو الصوت المنمّش بحذر «لكن من الذي يسكن هنا؟!»

قلت : «ومن أين لي أن أعلم..!!»

انزعج الجمع بعض الشيء.

«إذن هلاّ تكرّمت وشرحت لنا». سأل شخص بصوت مسنن حاد «لم أنت واقف هنا تنادي على تيريزا ؟!»

«على حد علمي، بوسعنا المناداة على اسم ثانٍ أو المحاولة في مكان آخر. ليست معضلة..!!»

بدا عليهم الضيق.

«أتمنى أنك لم تكن تسخر منا يا رجل؟!» سأل المنمّش بارتياب.

«ماذا؟!» صحت ممتعضًا واستدرت مواجهًا الآخرين لتأكيد حسن نيّتي.

لاذ الباقون بالصمت في إشارة إلى أن حيلة التملق لم تنطلِ عليهم. وتسيّد الموقف حرج اللحظة.

«اسمعوا» قال شخص بمزاج مرح «لم لا ننادي على تيريزا للمرة الأخيرة ثم نعود أدراجنا ؟!»

وكان ذلك ما فعلنا «واحد، اثنان، ثلاثة، تيريزا..!».

إلا أنها لم تخرج على نحو حسن، تفرّق الجمع عائدين إلى بيوتهم، أحدهم في اتجاه والبعض في الاتجاه الآخر. كنت قد انعطفت باتجاه الميدان حين ظننت أنني سمعت صوتًا ينادي:

Twitter: @ketab_n

«تي ـريييي ـ زاااا..!!»

لاريب أنّ شخصًا ما قد تخلف ليواصل الهتاف.. شخص عنيد..!!

Twitter: @ketab_n

كانت هنالك بلدة جميع قاطنيها من اللصوص. ما إن يحلّ المساء حتى يغادر كل شخص منزله حاملاً رزمة مفاتيحه الهيكلية، وفانوسه المخفف الوهج، ويذهب ليسطو على أحد المنازل المجاورة. كانوا يعودون إلى منازلهم فجرًا محمّلين بالغنائم ليجدوها قد تعرضت للسرقة هي الأخرى.

وهكذا فقد عاشوا معًا في هناء، لم يكن بينهم خاسر، إذ إنّ كل شخص كان يسرق من الآخر، وهذا الآخر يسرق بدوره من آخر غيره، وهلمّ جرًا حتى تصل إلى شخص أخير يسرق من اللص الأول. وقد انطوت التجارة في هذه البلدة على غش يتعذر اجتنابه ينال كلا الطرفين من باعة ومشترين. أمّا الحكومة فلم تكن سوى منظّمةٍ إجرامية تختلس أموال رعاياها في حين ينشغل الشعب بالاحتيال على الحكومة لسلب أموالها. وإلى هنا فقد كانت الحياة تسير على ما يرام، لا من أغنياء بينهم ولا فقراء.

Twitter: @ketab_n

ذات يوم ـ ولا نعلم كيف ـ حدث أن قَدِم شخص شريف للسكن في هذه البلدة. وفضلاً عن الخروج ليلاً بكيسه وفانوسه، كان هذا الشخص الشريف يلازم منزله ليدخّن ويقرأ الروايات. و كان اللصوص يحضرون ثم ينصرفون لدى مشاهدتهم أضواء منزله المنارة. وقد استمر الوضع على هذا النحو إلى أن وجد سكّان البلدة أنفسهم مضطرين لتوضيح الأمر للرجل، فحتى لو أراد هو العيش دون عمل فهذا ليس سببًا لحرمان الآخرين من متابعة شؤونهم. كانت كل ليلة يقضيها في منزله تعني أن عائلة ما لن تجد ما تقتات عليه في اليوم التالي. وأنّى للرجل الشريف أن يعترض على منطق كهذا؟!!

لذا فقد أخذ يغادر منزله كل مساء مثلهم، ولا يعود حتى صباح اليوم التالي، إلا أنه لم يسرق أحدًا. كان شريفًا، ولم يكن باستطاعة أحد تغيير ذلك. كان يبتعد كل مساء متوجّهًا إلى الجسر ليتمتع بمشاهدة الماء الدافق أسفله. وعندما يعود لمنزله يجده قد تعرّض للسطو.

وفي غضون أسبوع، وجد الشخص الشريف نفسه معدمًا، كان بيته قد أُفرغ تمامًا ليس هناك ما يأكله. إنما ليست هذه هي المشكلة ـ كونه ذنبًا جلبه لنفسه ـ كلا، فالمشكلة الحقيقية هي أن تصرفه قد أربك كل شيء آخر. لأنه ترك الآخرين يسرقون كل ما يملك دون أن يسرق هو أيًا منهم. وقد ترتب على ذلك أن يكون هنالك دومًا من يرجع إلى منزله فجرًا ليجده كما هو. ذلك هو المنزل الذي كان من المفترض أن يسرقه الرجل الشريف. على أية حال، فبعد مدّة وجيزة أصبح الأشخاص الذين لم يتعرضوا للسرقة أغنى من الآخرين ولم يعودوا راغبين بالسرقة بعدها. ومما زاد الأمر سوءًا أنّ

Twitter: @ketab_n

أولئك الذين قصدوا بيت الرجل الشريف لسرقته رجعوا خاليي الوفاض وبالتالي فقد أصبحوا أفقر من سواهم.

في تلك الأثناء، بات حديثو الثراء يحذون حذو الرجل الشريف في الذهاب إلى الجسر ليلاً لمشاهدة الماء وهو يتدفق من أسفله. وهذا ما جعل الوضع أكثر إرباكًا، فهو دلالة على تزايد عدد الأغنياء وبالتالي تزايد عدد الفقراء أيضًا. وعليه فقد أدرك الأغنياء أنهم إن استمروا بالذهاب إلى الجسر كل ليلة فسرعان ما سيعودون لما كانوا عليه من فقر، وفكّروا «لم لا نستأجر بعض الفقراء لكي يسرقوا لحسابنا؟» وهكذا فقد أُبرِمت العقود، برواتب شهرية أو نسب مئوية. كانوا لا يزالون لصوصًا بطبيعة الحال ولا يزال كلٌّ منهم يخدع الآخر.. إنّما، وكما تسير الأمور عادة، فقد أصبح الأثرياء أكثر ثراءً بينما ازدادت حالة الفقراء بؤسًا. بعض الأغنياء أصبح من الثراء بحيث لم يعد بحاجة إلى أن يَسرق أو يُسرق له لكي يبقى ثريًا. إلا أنهم إذا توقفوا عن السرقة فقد يفقدون ثرواتهم لأن الفقراء استمروا في السطو على منازلهم. لذا فقد استأجروا الأكثر فقرًا من بين الفقراء لحراسة ممتلكاتهم. وقد عنى ذلك استحداث قوات شرطة وبناء سجون.

وهكذا فإنه بعد ظهور الرجل الشريف ببضعة أعوام فقط، لم يعد الناس في تلك البلدة يتحدثون عن السارقين والمسروقين، بل عن الأغنياء والفقراء رغم كونهم جميعًا لصوص. إذ لم يكن بينهم من رجل شريف سوى ذلك الذي تحدثنا عنه في البدايـــة، والذى هلك بعد ظهوره بمدّة وجيزه.. جوعًا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

اندلعت حرب، ومضى شخص يقال له «لويجي» ليسأل عن إمكانية ضمه كمتطوع. أثنى الجميع على قراره. فتوجّه لويجي إلى حيث كانوا يوزّعون البنادق.

تسلّم واحدة وقال:

«الآن سوف أذهب للإطاحة بذلك المدعو ألبرتو»

حين سئل عمن يكون هذا الألبرتو، أجاب :

«عدو.. عدو شخصي»

شرحوا له أنه يفترض به قتل نوع معيّن من الأعداء، وليس كل من طاب له قتله.

«طيب؟!» قال لويجي «أوَتعتقدون أنني أحمق؟! هذا الألبرتو هو بالضبط من هذا النوع، واحدٌ منهم. حين تناهى إلى سمعي خبر شنّكم الحرب على

Twitter: @ketab_n

أولئك القوم قلت في نفسي : «عليّ مرافقتهم، هكذا سأتمكن من قتل ألبرتو» ولهذا أتيت. أعرف هذا الألبرتو جيدًا، إنه محتال، لقد خدعني، وأوعز لي بأن أجعل من نفسي مغفلاً أمام تلك السيدة لأجل أمر تافه. إنها قصة قديمة على كل حال، إن كنتم لا تصدقون فسأسرد عليكم الحكاية كاملة».

«حسنًا..لا بأس» أجابوه

«طيب إذن».. قال لويجي «دلوني على مكان ألبرتو وسأنطلق من فوري إلى هناك وأقاتل»

حين أخبر بأنه لا علم لهم بمكانه أجاب:

«غير مهم، سوف أجد من يدلّني على مكانه وسأتمكن منه عاجلاً أم آجلاً»

أبلغوه أنه لا يستطيع فعل ذلك وأن عليه الرحيل إلى جبهة القتال وضرب عنق كل من يصادف وجوده هناك. لم تكن لديهم أدنى فكرة عن أمر ذاك الألبرتو.

«اسمعوا» أصر لويجي «أظن أنه يتوجب عليّ إخباركم بالقصة كاملة لأن ذلك الرجل هو وغد حقيقي، وستفعلون خيرًا بالقتال ضدّه».

لم يُبد الآخرون رغبة في سماع المزيد، ما أثار حفيظة لويجي.

« عذرًا» خاطبهم لويجي «قد يكون الأمر سيّان لديكم إذا ما قتلت أحد الأعداء أو سواه، لكنني سأستـــاء كثيرًا في حال قتلت شخصـًا غير ألبرتو»

فقدَ الآخرون صبرهم، وانبرى أحدهم ليُسمع لويجي خطابًا حول

Twitter: @ketab_n

ظروف الحرب وكيف أنّ المحاربين لا يخوضون المعارك لقتل عدو شخصي بعينه.

هز لويجي كتفيه استهجانًا وغمغم :

«إذا كان الأمر كذلك فأنا أعلن انسحابي»

فما كان منهم إلا أن صرخوا به :

« أنت مسجل الآن وستبقى كذلك»

« إلى الأمام در.. واحد، اثنان...واحد، اثنان»..

وهكذا فقد أرسل لويجي إلى الجبهة.

لم يكن راضيًا، كان يقتل ارتجالاً لعله يصيب ألبرتو أو أحد أقربائه. وقد قُلّد ميداليات بعدد الأرواح التي أزهقها في صفوف العدو، وبرغم ذلك ظل كئيبًا.

«إذا لم أتمكن من قتل ألبرتو» فكر لويجي «أكون قد قتلت كومة من البشر بغير داع»

وأحس بتأنيب الضمير.

في غضون ذلك كان يحصد الوسام تلو الآخر، الفضي والذهبي، وما عداه.

ومضى يعلل نفسه:

«أقتل بعضًا منهم اليوم، وأقتل البعض الآخر غدًا وهكذا لن يتبقى منهم سوى القليل. دور ذلك الوغد ألبرتو آت لا محالة».

Twitter: @ketab_n

لكن العدوّ استسلم قبل أن يتمكن لويجي من العثور على ألبرتو. وهنا شعر لويجي بالخزي لقتله كل أولئك الناس من أجل لا شيء. وبما أنهم كانوا في فترة هدنة فقد حمل لويجي كل ميدالياته وأوسمته في حقيبة وخرج يجوب أرض العدو ليوزعها على أسر ضحايا الحرب.

في أثناء تجواله على هذا النحو اصطدم بألبرتو.

«جيد» صاح به «أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي أبدًا.!!»

وقضى لويجي على الرجل.

إذ ذاك ألقي القبض عليه وحوكم ثم شُنق.

أثناء المحاكمه طفق يردد على مسامعهم أنه ما فعل فعلته تلك إلا ليرضي ضميره، غير أن أحدًا لم يصغ إليه.

Twitter: @ketab_n

توقّفت لمشاهدتهم.

كانوا عاكفين ـ ليلاً ـ على معاملة مصراع الغطاء المعدني لواجهة أحد المحلات التجارية في زقاق منعزل. كان غطاءً من النوع الثقيل، كونهم استخدموا قضيبًا حديديًا لرفعه، ومع هذا لم يتمكنوا من زحزحته.

كنت أتجول منفردًا على مقربة منهم، غير متوجه إلى مكان بعينه. أمسكت معهم بالقضيب لأمد لهم يد العون فأفسحوا لي.

لم نكن نضغط معًا فصحت «ارفعوا»

وكزني الشخص الذي كان على يميني بكوعه وهمس:

«اخرس يا مجنون! أو تريدهم أن يسمعونا؟»

هززت رأسي وكأنما لأقول له أنها أفلتت مني.

تطلب الأمر الكثير من الوقت والجهد حتى أننا كنا نتصبب عرقًا، لكننا

Twitter: @ketab_n

في النهاية تمكنا من رفع المصراع بما يسمح لشخص بالعبور أسفله.

تبادلنا نظرات الرضى فرحين ثم ولجنا إلى الداخل. حُمِّلت كيسًا بينما أخذ الآخرون يجلبون أغراضًا شتى ويكنزونها بداخله.

«هيا قبل أن يباغتنا رجال الشرطة المقرفين» كانوا يتهامسون.

«صحيح» أضفت «إنهم حقًا مقرفين».

« إخرس! هل تسمع وقع خطوات ؟» كانوا يرددون كل هنيهة.

أصخت السمع، متخوفًا بعض الشيء..

«كلا..كلا، ليسوا هم» أجبت.

«إنهم يباغتونك في اللحظة التي لا تتوقعهم فيها على الإطلاق» قال أحدهم.

«تبًا لهم، الموت هو ما يستحقونه» أجبت.

طلبوا مني الخروج لوهله إلى زاوية الشارع لتحري الوضع. ففعلت.

في الخارج، عند المنعطف كان هنالك آخرون ميممون شطري، بعضهم متشبّث بالجدران وآخر محتجب في الأزقه. انضممت إليهم.

«الضوضاء منبعثة من هناك، قرب تلك الدكاكين» قال الشخص الملاصق لي.

أمعنت النظر.

«اخفض رأسك أيها الغبي، سوف يلحظوننا ثم يفرّون كالعادة» همس بصوت أقرب إلى الفحيح.

Twitter: @ketab_n

«كنت أنظر فقط»، شرحت له ثم انحنيت جاثمًا بملاصقة الحائط.

«لو استطعنا التحلّق حول المكان دون أن يشعروا بنا» قال أحدهم «لتمكنّا من الإيقاع بهم، إنّ عددهم ليس بالكثير».

تحركنا مندفعين على أطراف أصابعنا، حابسين أنفاسنا، نتبادل نظرات متوجّسة بين الحين والآخر.

«لن يتمكنوا من الفرار الآن»، قلت.

«أخيرًا سنتمكن من القبض عليهم متلبسين بجرمهم المشهود»، قال أحدهم.

«حانت ساعتهم» أضفت.

«أوغاد قذرون، ينتهكون حرمة محال الناس على هذا النحو» قال آخر.

كررت بغضب «أوغاد.. أوغاد!!»

دفعوا بي لأتقدمهم بعض الشيء وأتحرى الوضع. فصرت في عقر المحل ثانية.

«لن يتمكنوا منّا الآن» قال أحدهم وهو يطوح بكيسه فوق كتفيه.

«بسرعة» قال آخر «دعونا نخرج من الجهة الخلفية، وهكذا نكون قد استغفلناهم وفررنا من تحت أنوفهم».

سطعت ابتسامة نصر على محيانا.

«سوف يشعرون بخيبة مريرة» قلت هذا وبدأنا بالتسلل نحو القسم الخلفي من المحل.

Twitter: @ketab_n

كنا نتهامس بجذل : «لقد خدعنا هؤلاء المغفلين ثانية»، حين رفع أحدهم عقيرته بالصياح

«قفوا.. من هنالك؟!»

أُضيئت الأنوار فجأة. فربضنا خلف شيء ما ممسكين بأيدي بعضنا بعضًا وقد علا وجوهنا الشحوب. دخل الآخرون إلى الغرفة الخلفية من المحل بيْد أنهم لم يرونا فأقفلوا عائدين. وهنا اندفعنا من أماكننا وركضنا كالمجانين متصايحين:

«لقد فعلناها..!!»

تعثرتُ تارتين فتخلّفتُ عنهم، وهكذا وجدت نفسي أجري خلفهم مع الآخرين.

«هيا.. سوف نلحق بهم» كانوا يهتفون من حولي.

اندفع الجميع في إثرهم عبر الأزقة الضيّقة.

«اركض في هذه الجهة.. اقطع عليهم ذلك الدرب» كنا نتصايح.

لم يكونوا قد ابتعدوا كثيرًا عنا، فكنا نهتف : «هلمّوا بنا، لن يتمكنوا من الفرار».

تمكّنت من اللحاق بأحدهم فصاح بي «حسنًا فعلتَ إذ نجوتَ منهم، تعال معي سنضللهم».

رافقته، لكنني توقفت بعدئذ بقليل لأجد نفسي وحيدًا في أحد الأزقة.

مرق أحدهم، وهتف وهو يعدو باتجاه المنعطف :

Twitter: @ketab_n

«من هنا، لقد رأيتهم، لن يتمكنوا من الابتعاد».

ركضتُ خلفه لبعض الوقت، ثم توقفت مجهدًا. لم يكن هناك ثمة أحد. ولم تعد تصلني أصواتهم. دسست يداي في جيوبي وعدت أتمشى، وحيدًا، غير متوجه إلى مكان بعينه.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حدث هذا ذات يوم، عند مفترق طرق، وسط جمهرة من الناس، وهم غادون وعائدون.

توقفت، طرَفْت بعيني، لم أستوعب شيئًا. لا شيء عن أي شيء. لم أفهم أسباب الأشياء أو الناس. بدا لي كل شيء غير منطقي. مناف للعقل. وبدأت بالضحك.

ما أثار دهشتي حينئذ كان شيئًا لم أدركه قبلها، وهو أني حتى تلك الساعة قد قبلت كل شيء: الإشارات الضوئية، العربات، الملصقات الإعلانية، البزّات النظامية، النُصُب التذكارية، أشياء لا تمت بصلة لمنطق هذا الكون. قبلتها وكأنها ضرب من الضرورات. تربطها ببعضها بعضًا سلسلة من الأسباب والنتائج.

ماتت الضحكة في حلقي، وتضرّج وجهي خجلاً. لوّحت بيدي لأسترعي انتباه المارّة.

Twitter: @ketab_n

«قفوا لحظة!» صرخت «هناك خطأ ما! بل إن كل شيء خاطئ! إنّ ما نفعله هو أغرب الغرائب! يستحيل أن تكون هذه هي الطريقة الصحيحة! إلام ستفضي بنا؟!».

تحلّق الناس حولي. يدرسونني بنظرات ملؤها الفضول. وقفت في منتصفهم، أطوح بذراعاي جاهدًا لشرح نفسي، ولحثهم على مشاركتي ومضة نفاذ البصيرة تلك التي نورتني على حين غرة. لكنّني لم أنطق، سكتّ، لأنه إبان اللحظة التي رفعت فيها ذراعي وفتحت فيها فمي بدا وكأن إلهامي الأعظم قد ابتُلع مجددًا. وتواترت الكلمات من فمي مندفعة على نحو معهود.

«إذن؟!» تساءل الناس «ماذا تقصد؟ كل شيء في مكانه الصحيح. وكما يفترض به أن يكون، كل شيء ناجم عن شيء آخر قد سبّبه. لا يوجد هنالك خطأ أو غرابة..!!»

ولبثت في مكاني، تائهًا. فحسبما كنت أرى الآن، كل شيء عاد إلى نصابه. كل شيء بدا لي طبيعيًّا: الإشارات الضوئية، النصب التذكارية، البزّات الرسمية، الأبراج السكنية، خطوط الترام، الشحاذين، مواكب المارّة..

لكن ذلك لم يهدّئ من روعي بل أوغل في تعذيبي.

«أنا آسف»، غمغمت «ربما كان الخطأ كامنًا بي. هكذا هُيئ لي، لكن كل شيء على ما يرام. أعتذر منكم»، وانسحبت من غمار حملقاتهم الغضبى.

إلا أنني لازلت كلما وجدت نفسي وقد تعذر علي فهم شيء ما، يُفعم قلبي بالأمل، لا شعوريًا، بأن اللحظة قد تواتيني مجددًا. تلك اللحظة التي

Twitter: @ketab_n

أفقد فيها القدرة على استيعاب أي شيء. وبأنني قد أتمكن من القبض على خيوط معرفة أخرى. معرفة وُجدت ثم فُقدت في طرفة عين.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الإطاحة بالرؤوس*

لا بد أنني وصلت إلى العاصمة قبيل الاحتفال بمهرجانٍ ما. كانوا يبنون المنصّات في الميادين ويعلّقون الأعلام والأشرطة وسَعَف النخيل، كان هناك ضجيج طَرقٍ في كل مكان.

سألت الرجل الذي يقف خلف منضدة الحانة «أهو المهرجان الوطني؟»

أشار إلى صفّ من الصور الشخصية المعلّقة خلفه، «رؤوس حكومتنا» أجابني. «إنه مهرجان رؤوس الحكومة، الزعماء».

بدا لي أنه حفل تنصيب حكومة منتخبة جديدة. فسألت : «جديدة ؟»

نظرًا لضجيج المطارق، واختبارات فحص مكبرات الصوت، وصرير رافعات المنصات، كنت مرغمًا على الاختصار، وعلى الصراخ أيضًا، لكي يُفهمَ قولي.

* هذه هي ترجمة المشهد الأول فقط من القصة التي نُشرت ضمن مجموعة «أرقام في الظلام» وتضمنت مشاهد مختلفة حول نفس الموضوع.

Twitter: @ketab_n

هز الساقي رأسه بالنفي، «كلا، ليسوا جُددًا، لقد مرّت على بقائهم في الحكم مدّة من الزمن».

فسألت : «أهي إذن الذكرى السنوية لتوليهم السلطة؟»

«شيءٌ من هذا القبيل ـ شرح لي زبون بجانبي ـ يقام المهرجان بصورةٍ دوريّة، وها قد حان دورهم».

«دورهم من أجل ماذا؟»

«لصعود المنصّة».

«أية منصة؟ لقد شاهدت العديد منها، واحدة في كل زاوية شارع».

«لكل واحد منصّته الخاصة، لدينا العديد من الزعماء».

«وماذا يفعلون؟ يخطبون في الناس؟»

«لا، يخطبون !!..لا، لا»

«يصعدون المنصة، ثم ماذا؟»

«وماذا تظنهم فاعلون، ينتظرون قليلا ريثما تُرتب الأمور، ثم تُختتم الطقوس في دقائق».

«وأنتم؟»

«نحن نتفرج».

كثر الهرج والمرج في الحانة، النجّارون الذين كانوا وصِبْيتهم يفرغون الشاحنات من لوازم تزيين المنصات (فؤوس، كتل وسلال...) توقفوا لتناول الجعة.

Twitter: @ketab_n

كلما توجهـــت بالسؤال لأحدهم، كانت الإجابة تأتيني من شخص آخر.

«هو نوع من إعادة الانتخاب إذن؟ يؤكدون به وظائفهم، أو كما يقال، شرعيتهم؟»

«لا، لا» صحَّحوا لي «ألا تفهم؟ إنها النهاية. لقد انتهى وقتهم».

«وإذن ؟»

«إذن لا يعودون رؤوسًا، بل يسقطون».

«لِمَ يعتلون المنصّات إذن؟»

«مع المنصّات تستطيع أن ترى كيف تسقط الرؤوس بصورةٍ أفضل، كيف تتدحرج، مقصولةً ببراعة، وكيف تنتهي في السلال».

هنا بدأت أفهم، لكنني لم أكن متأكدًا تمامًا. «تعني رؤوس الرؤوس؟ الزعماء؟ في السلال؟»

أومؤوا برؤوسهم «صحيح، قصل الرؤوس، بالضبط، قصل رؤوس الرؤوس»

كنت قد وصلت للتو، ولم أكن على علمٍ بالأمر، كما أنني لم أقرأ الصحف بعد.

«هكذا ببساطة، غدًا، وبدون مقدمات؟».

«حينما يأتي يومهم فقد أتى»، أجابوني. «هذه المرة صادف منتصف الأسبوع، إنها عطلة، كل المحال مغلقة».

Twitter: @ketab_n

أضاف شيخ يتحدث كأسقف: «حين تنضج الثمرة لا بد من حصادها، والرؤوس لابد من قطافها، فهل عساك تترك ثمرة ناضجة لتتعفن على غصونها؟!».

شرع النجّارون بإتمام أعمالهم، على بعض المنصّات كانوا يرفعون السقّالات لضمان حدة المقاصل، وعلى أُخَر كانوا يثبّتون كتل الإسمنت، ويوزّعون بعض المساند المريحة على الجوانب..(أحد المساعدين كان يختبر صحة الارتفاع بوضع رأسه على كتلة الإسمنت).

في أماكن أخرى كان الناس يجهّزون معداتٍ شبيهةً بألواح الجزّارين ذات القنوات الجانبيّة لتمرير الدم. بُسطت الخِرَق المشمّعة على أرضيات المنصات، وجُهّزت قطع الإسفنج لتنظيف زخات الدم. كان الكل يعمل بحماس، وباستطاعتك سماع الضحكات والصفير.

«هل أنتم سعداء إذن؟ هل كنتم تبغضونهم؟ أكانوا زعماء سيّئين؟».

«كلا، ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟» أجابوني وهم يتبادلون نظرات التعجب «كانوا جيدين، أو بالأحرى ليسوا أفضل أو أسوأ من سواهم. حسنٌ، أنت تعلم كيف هم الزعماء والقادة.. أو من يشغلون مناصب كهذه..»..

«بغض النظر»، قال أحدهم «لقد أحببت هذه الزمرة».

«أنا أيضًا». «وأنا كذلك» أجمع العديد منهم «فعلاً، لم يكن لدي أي شيءٍ ضدّهم».

«إذن.. ألستم حزينين لقتلهم ؟»، سألتهم.

Twitter: @ketab_n

«وماذا بالإمكان فعله؟ إذا وافق شخص ما على تبوء منصب الزعيم فهو لا بد يعرف كيف سينتهي به المطاف. من المستبعد أن يظن أنه سيلقى حتفه منبطحًا على سريره..!!»

ضحك الآخرون «ذلك سيكون ممتعًا حقًا، أن يحكم المرء، ويأمر وينهي، ثم يستقيل ويعود إلى بيته، وكأن شيئًا لم يكن».

سخر أحدهم : «دعني أخبرك، كل شخص سيتمنى أن يصبح زعيمًا في هذه الحالة. حتى أنا..أنظر.. كنت سأسعى لهذا الأمر.. ها أنذا».

«وأنا كذلك». «وأنا أيضًا». هتف كثيرون منهم وهم يتضاحكون..

«إنما أنا لا» قال شاب يضع النظارات، «ليس بهذه الشروط، إذ ماذا سيكون المغزى حينها ؟»

«صحيح، ليس هناك فائدة من أن تصبح زعيمًا تحت وطأة هذه الشروط». وافقه عدد منهم. «إنّ القيام بعملٍ كهذا حين تعرف ما عليك توقعه هو أمر، والعكس هو أمرٌ مختلفٌ تمامًا.. لكن هل هناك طريقةٌ أخرى للقيام به ؟».

شرح الرجل ذو النظارات، الذي كان لا بد أفضلهم تعليمًا:

«السلطة على الآخرين هي جزء لا يتجزأ من حق هؤلاء الآخرين في تعليقك على المنصة والتخلص منك يومًا ما في المستقبل القريب. فأي سلطةٍ ستكون للزعيم دون هذه الهالة التي يرسمها مصيره المحتوم حوله؟! إن لم تستطع أن تقرأ إحساسه بقرب نهايته في عينيه لكل لحظةٍ من لحظات فترة

Twitter: @ketab_n

حكمه؟ إن المؤسسات المدنية تعتمد على هذه الحيثية المزدوجة من السلطة، لذا لم تستخدم أي حضارةٍ محترمة نظامًا مغايرًا لهذا».

اعترضت قائلاً «ومع ذلك بإمكاني أن أسوق لك بعض الأمثلة».

«أعني : الحضارات الحقيقية». أصرّ الرجل ذو النظارات، «أنا لا أتحدث عن الأنظمة الهمجية، مهما طال بقاؤها في تاريخ البشرية».

كان الشيخ الذي تحدث مسبقًا عن الثمار المتعفنة يتمتم مع نفسه، بعدئذ هتف «الرؤوس تحكم لأمدٍ طويلٍ مادامت معلقةً على الأكتاف».

«ماذا تقصد؟» تساءل الجمع: «هل تقصد أنه لو تعدى أحد الرؤساء، على سبيل المثال، مدّة حكمه، وفرضنا أنه لم يُقطع رأسه، لأي سبب من الأسباب، فإنه سيبقى في الحكم طوال حياته؟!»

صدَّق الرجل على كلامهم قائلا: «هكذا كانت تسير الأمور، قبل أن يتضح للجميع بأنه من يسعى لأن يكون رئيسًا فإنما يختار أن يُقطع رأسه في القريب العاجل. أولئك الذين امتلكوا السلطة كانوا يتشبثون بها».

كان بوسعي المقاطعة هنا وسرد بعض الأمثلة لكن ما من أحد سيستمع إليّ.

«وكيف تصرف الشعب إذن ؟»، سألوا الشيخ.

«توجّب عليهم قطع رؤوس هؤلاء الرؤساء، شاءوا أم أبوا، وبالقوة الغاشمة، خلافًا لما يتمنون، لا وفقًا لأيام محددة، بل حينما يفيض بهم الكيل ولا يستطيعون احتمالهم أكثر مما فعلوا. هذا ما كان يحدث قبل أن تُنظَّم الأمور، قبل أن يقبل الحكام».

Twitter: @ketab_n

«هه، نود فقط رؤيتهم لا يقبلون!» هتف بعضهم «دعهم يحاولون فقط وسيرون...!»

«ليس الأمر كما تظنون»، قاطعهم صاحب النظّارات.

«ليس صحيحا أن الزعماء مرغمون على الخضوع للإعدام، قولوا هذا وسيفوتكم المعنى الحقيقي لهذه القاعدة، إنها العلاقة الحقيقية التي تربط زعماءنا بعامة الناس. فقط رؤوس الحكم هم من تُقطع رؤوسهم، طالما أنك لا تستطيع تمني الحكم دون أن تتمنى المقصلة!. فقط أولئك الذين يمتلكون هذه المهنية والكفاءة يستطيعون أن يصبحوا رؤساء! فقط أولئك الذين يعتبرون أنفسهم مذبوحين لحظة تقلدهم منصب القيادة!».

أخذ عدد الزبائن في الحانة بالتناقص تدريجيًا، كلٌّ يعود إلى عمله. لاحظت أن صاحب النظارات كان يوجه كلامه إلي حصريًا.

«هذا هو جوهر السلطة» تابع حديثه «هذا الترقب للخاتمة! كل السلطة التي يمتلكها الشخص لا تعدو كونها إشعارًا مبدئيًا بهسهسة نصل المقصلة في الهواء. حين يهوي محدثًا البتر التام، كل التصفيق الذي تحظى به لا يعدو كونه بداية الهتاف الذي سيُحيىَ به رأسك المتدحرج على البساط المشمع أسفل المقصلة».

خلع نظارته لينظفها بمنديله، فلاحظت أن عينيه مغرورقتان بالدموع. دفع ثمن الجعة، ثم انصرف.

مال الساقي نحوي وهمس في أذني «إنه أحدهم.. انظر!!» ثم أخرج من تحت المنضدة رزمةً من الملصقات الكبيرة التي طُبعت عليها صورٌ شخصية.

Twitter: @ketab_n

«في الغد سيتعيّن عليّ إنزال تلك الصور وتعليق هذه الصور الجديدة».

كانت أولى الصور لصاحبنا ذي النظارات، عبارة عن تكبير قبيح لصورة من جواز السفر.

«لقد انتُخب لخلافة من سيُنَحّون، غدا سيتسلم زمام الأمور، إنه دوره هذه المرة. إنما إذا سألتني فأنا لا أظن أنه من الصواب إخباره قبل الإعدام بيوم، هل سمعت الطريقة التي كان يتحدث بها عن المسألة؟! غدًا سيراقب عملية الإعدام وكأنها تُطبّق عليه هو شخصيًا. كلهم هكذا بادئ الأمر، يغضبون، يهيجون، يبالغون... أي كلمة طنانة تلك التي يتشدقون بها: الكفاءة»!

«ومن ثمَّ ؟»

«سيعتاد على الوضع كالآخرين، لديهم الكثير للقيام به، حتى أنهم لن يفكروا بالأمر مجددًا، إلى أنْ يحلّ يومهم المقرر. إنما حينئذ: من يستطيع قراءة أذهان الزعماء! فهم يعطون انطباعًا بأنهم لا يفكرون بالأمر بتاتًا.. مزيدًا من الجعة ؟!»

Twitter: @ketab_n

Anton Chekhov

أنطوان تشيخوف

يعدّ أنطوان بافلوفيتش تشيخوف من أعظم كتاب القصة القصيرة في العالم، ولد في التاسع والعشرين من يناير عام 1860 في تاغانروغ وهو ميناء ساحلي يقع في الجزء الجنوبي من روسيا . كان والده بقالاً وقائدًا لجوقة الكنيسة، وقد أساء معاملة عائلته وإليه يعزو كثير من النقاد النماذج المنافقة التي ضجّت بها كتابات ابنه، وقد أنّب تشيخوف أحد إخوته في واحدة من رسائله الشخصية مُهيبًا به أن يتحول إلى نسخة عن والده حين قال:

«دعني أذكرك بأن الاستبداد والكذب هما من دمر شباب والدتك، وهما من شوّه طفولتنا لدرجة أنّ التفكير بها يبعث على الغثيان والهلع. تذكرالرعب والاشمئزاز اللذين شعرنا بهما في تلك المرات التي انتابت والدنا فيها حالات الهياج بسبب الملح الزائد في الحساء، وحين كان يدعو والدتنا بالمعتوهة».

أما والدته فقد كانت حكواتية موهوبة، وكانت في كثير من

Twitter: @ketab_n

الأحيان تُسرّي عن أطفالها بقص قصص أسفارها عبر مناطق روسيا المختلفة مع والدها تاجر الأقمشة، وقد كان تشيخوف يقول: «ورثنا الموهبة من أبينا، إلا أننا نتحلى بروح والدتنا».

التحق تشيخوف في سن السابعة بمدرسة للفتيان الإغريق، ثم بمدرسة للقواعد اللغوية، وحين كان تشيخوف في السادسة عشرة من عمره تعرض والده للإفلاس ففر بالعائلة إلى موسكو مخلفًا تشيخوف وحيدًا ليعتمد على نفسه ويسدد مصاريف دراسته التي أنهاها بعد ثلاثة أعوام، عن طريق إعطاء الدروس الخاصة وكتابة المشاهد الهزلية القصيرة للصحف.

كانت عائلة تشيخوف تمر بمرحلة من الفقر المدقع آنذاك، ما حدا بتشيخوف إلى إرسال كل مبلغ يستطيع ادخاره إليهم، وفي تلك الأثناء اتسعت اهتماماته بالمطالعة وعاش بعض العلاقات الغرامية كان أهمها علاقة مع زوجة أحد معلميه.

انضم تشيخوف إلى عائلته في موسكو عام 1879 حيث التحق بكلية الطب في جامعة موسكو. وبدأ حينها يزاول الكتابة بصورة شبه يومية لتغطية مستحقاته الدراسية وإعالة أسرته، فكتب الكثير من المشاهد الهزلية المستوحاة من الحياة الروسية المعاصرة، تحت أسماء مستعاره مثل «رجل بدون طحال» و«أنتوشا تشيخونتي» وكان ينشرآنذاك في مجلة «شظايا» التي كان يمتلكها «نيكولاي ليكن» أحد أهم ناشري تلك الفترة.

تخرج تشيخوف من كلية الطب ومارس المهنة لفترة وجيزة

Twitter: @ketab_n

قبل أن يكتشف إصابته بالسل عام 1884، الأمر الذي أسره عن أهله وأصدقائه إلى أن ساءت حالته عام 1886. لكنه واصل الكتابة للدوريات الأسبوعية حاصداً المزيد من النجاح ودافعاً بعائلته إلى مراتب أفضل. ونال عام 1887 جائزة بوشكين عن مجموعته القصصيه «عند الغسق» عن أفضل إنتاج أدبي ذي قيمة فنية عالية، وهو لايزال في السادسة والعشرين من عمره.

في مارس عام 1897 تعرّض تشيخوف لنزيف رئوي حاد وأُقنِع بصعوبة لإجراء الفحوصات الطبية التي قرر الأطباء على إثرها أنه يعاني من مرحلة متقدمة من السل الرئوي، وفرضوا عليه تغيير نمط حياته. وهكذا فقد انتقل تشيخوف مع والدته وشقيقته إلى جزيرة يالطا حيث ابتاع منزلاً أخذ يعتني بحديقته بنفسه، واستقبل فيه أهم أصدقائه مثل مكسيم غوركي وتولستوي.

تزوج تشيخوف من الممثلة أولغا كنيبر عام 1901 في عرس متواضع شهده القليل من الأصدقاء. وكان قد أغرم بها بعد أن التقاها أثناء بروفات مسرحية النورس التي لعبت هي بطولتها.

حتى ذلك الحين كان تشيخوف أشهر عازب في الوسط الثقافي الروسي وقد اشتهر بمقولته الساخرة: «أعطني زوجة كالقمر، لا تسطع في سمائي كل ليلة»، وقد تحقق هذا لتشيخوف حيث عاش في يالطا بينما تابعت أولغا مسيرتها الفنية في موسكو وكانت تأتي لزيارته كلما سنحت لها الفرصة.

وبحلول ربيع عام 1904 كان مرض تشيخوف قد تفاقم

Twitter: @ketab_n

لدرجة شعر معها كل من رآه بأن نهايته وشيكة. ويعلّق أحد إخوته على مرضه قائلاً : كلما بدا أقرب إلى النهاية، كلما بدا أقل إدراكًا لهذه الحقيقة. ومع بداية الصيف انطلق برفقة زوجته إلى منتجع بادنويلر بألمانيا، حيث كتب من هناك إلى أخته ماشا رسائله المرحة المعروفة عن سوء ذائقة نساء الألمان في اختيار ملابسهن وعن الطعام والأجواء مؤكدًا لها في الوقت نفسه تحسّن صحته. وقد حيكت الكثير من القصص حول موت تشيخوف إلا أن أقربها إلى الصحة تلك التي حكتها زوجته أولغا حين جلس منتصبا في سريره وهتف بالألمانية مخاطبًا طبيبه : «إني أحتضر» رغم أنه لا يتحدث الألمانية على الإطلاق، فحقنه الطبيب بمادة مهدئة، ثم قدم له كأسًا من الشامبانيا، رفعه تشيخوف إلى فمه وهو يبتسم لأولغا ويقول: لم أذق الشمبانيا منذ مدة طويلة! شربه دفعة واحدة ثم استلقى بهدوء على جانبه الأيسر، نائمًا نومته الأبدية.

Twitter: @ketab_n

قبل تسع سنين، كنت أنا وبيوتر سيرجتش، مندوب النائب العام، متوجهين قبيل الغروب لإحضار الرسائل من المحطّة، وكان ذلك في موسم صناعة التبن.

كان الطقس ساحرًا، إلا أنّه في طريق عودتنا سمعنا قصفًا رعديًا وما لبثنا أن شاهدنا غمامة عاصفة سوداء غاضبة تتجه نحونا مباشرة، وبدا كأن غمامة العاصفة تلك كانت تقترب منا ونحن بدورنا كنا نقترب منها.

من خلف ذلك السواد سطع بياض كل من منزلنا والكنيسة، ولمعت أشجار الحور الشامخة كالفضة. كان الجو عبقًا برائحة المطر والتبن المجزوز. كان رفيقي مفعمًا بالحيوية، وأخذ يضحك ويهذي بكلام غير منطقي. قال إنه سيكون من الرائع أن نعثر فجأة على قلعة من قلاع القرون الوسطى ذات الأبراج المدببة، التي تكسوها الطحالب ويقطنها البوم، بحيث نتخذ منها ملجأ من المطر إلى أن تصرعنا صاعقة في النهاية.

Twitter: @ketab_n

إذ ذاك، سرت الموجة الأولى بين شجيرات الجاودار وحقلٍ للشعير، حين هبت عاصفة من الرياح وتطاير الغبار متناثرًا في الهواء، ضحك بيوتر سيرجتش وهمز حصانه:

«هذا جيد» صاح بأعلى صوته، «هذا رائع».

متأثرة بابتهاجه، أنا أيضًا بدأت بالضحك حين خطر لي أنني سأصبح مبتلة حتى الجلد في غضون دقيقة، وبأن صاعقة قد تحل بي.

إنه لإحساس غاية في الإثارة أن يعدو الشخص بخيله وسط إعصار ماطر والريح تكتم أنفاسه. عندها يشعر بأنه طائر ويغدو قلبه في حالة اهتياج. حين بلغنا فناء منزلنا كانت العاصفة قد هدأت مخلّفة قطرات كبيرة من المطر ترتطم برتابة بالعشب والسطوح، وبدا الإسطبل مهجورًا.

نزع بيوترسيرجتش اللجامَين بنفسه وقاد الحصانين إلى حظيرتيهما. وقفتُ بجوارالمدخل أنتظره حتى يفرغ، وأراقب شرائط المطر المنحدرة، كانت رائحة التبن ذات الحلاوة اللاذعة أكثر قوة هنا منها في الحقول، إذ إن العاصفة والمطر أضافا عليها طابعًا مخدرًا.

« ياله من هزيم» ! هتف بيوتر سيرجتش وهو يتقدم نحوي بعد جلجلة رعد مدوية وكأن السماء قد انشقت نصفين: «ما رأيك بهذا» ؟

وقف إلى جانبي عند المدخل وكان لا يزال يلتقط أنفاسه إثر رحلتنا السريعة، ثم نظر إلي، كان واضحًا أنه متيم بي. «ناتاليا فلاديميروفنا» همس لي «أضحّي بأي شيء لأجل أن أمكث هنا فترة أطول وأظل أتأملك هكذا.. تبدين فاتنة اليوم».

Twitter: @ketab_n

تطلع إلي بعينين ملؤهما الحبور والرجاء، بدا محيّاه شاحبًا في حين تلألأت قطيرات المطر فوق شاربه ولحيته فأحسست كأنما هي أيضًا كانت تطالعني بحب.

«أحبك» همس بحنو فائق، «وأنا سعيد لمجرد مشاهدتك، أعلم بأنه لا يمكن أن تكوني زوجة لي، لكنني لا أرغب في شيء، ولا أطلب شيئًا سوى أن تعلمي أنني أحبك. تابعي الصمت، لا تجيبيني، ولا تلقي بالاً لما قلت، لكن اعلمي أنك أثيرة لدي ودعيني أنظر إليك».

أصابني ما أصابه من نشوة لدى رؤيتي لوجهه المعبر، وسماعي لصوته الذي امتزج بوقع المطر، فوقفت كالمسحورة، عاجزة عن الحراك، وتمنيت لو أظل أنظر في عينيه البراقتين وأستمع إليه إلى الأبد.

«إنك لا تجيبين، وهذا أمر رائع» قال بيوتر سيرجتش. «تابعي الصمت». شعرت بالسعادة، ضحكت مغتبطة وركضت إلى المنزل عبر المطر المنهمر، ضحك هو أيضًا ووثب يعدو خلفي.

صعدنا الدرجات نقعقع كالأطفال، كلانا كان مبتلاً ويلهث حين اقتحمنا الغرفة. لم يكن أبي وأخي معتادين على رؤيتي أضحك وأمرح بهذا الشكل، فنظرا إلي باستغراب وبدءا بالضحك هما أيضًا.

انقشعت غيوم العاصفة وهدأ الرعد، إلا أن قطيرات المطر كانت لا تزال تتوهج على لحية بيوترسيرجتش، الذي انهمك طيلة المساء وحتى موعد العشاء في الغناء والتصفير واللهو مع الكلب بصخب، أو مطاردته عبر الغرفة لدرجة كاد معها أن يقلب إناء الشاي على الخادم.

Twitter: @ketab_n

وعلى مائدة العشاء أكل بنهم وتحدث في أمور طريفة، وزعم أن من يأكل خيارًا طازجًا في الشتاء يشعر بعبير الربيع في فمه.

قبل أن أخلد للنوم، أشعلت شمعة وفتحت نافذتي على مصراعيها، وتملك روحي شعور لم أتبيّن كنهه، استرجعت كوني حرة ومعافاة وكوني أمتلك ثروة ومنزلة اجتماعية رفيعة، ثم كوني محبوبة.. الأهم في الأمر كله هو المنزلة الاجتماعية والثروة.. المنزلة الاجتماعية والثروة. رباه..!! كم كان ذلك رائعًا.

وبعد ذلك، وأنا متكومة في فراشي إثر لسعة برد انسلت صوبي من الحديقة الندية، حاولت اكتشاف ما إذا كنت مغرمة ببيوتر سيرجتش أم لا، إلى أن داهمني النوم قبل أن أصل إلى أية نتيجة.

حين رأيت أحزمة الضوء المرتعشة في الصباح، وظلال أشجار الليمون على سريري، تبدت أحداث الأمس جلية في ذاكرتي، وبدت لي الحياة غنية، متنوعة، ومليئة بالسحر. ارتديت ملابسي على عجل وأنا أدندن ثم خرجت إلى الحديقة.

وما الذي حدث بعد ذلك؟!.. أبدًا.. لا شيء. حين انتقلنا إلى المدينة في فصل الشتاء، كان بيوتر سيرجتش يأتي لزيارتنا من وقت لآخر. معارف الريف يبدون ساحرين فقط في الريف، وفي الصيف تحديدًا. بينما يفقدون سحرهم في المدينة وفي فصل الشتاء. فحين تسكب لهم الشاي في المدينة يبدو لك وكأنهم يرتدون معاطف غيرهم. كما قد يبدو لك بأنهم يأخذون وقتًا أكثر من اللازم في تحريك السكر في فناجينهم.

Twitter: @ketab_n

وقد صرّح لي بيوتر سيرجتش عن حبه مرارًا في المدينة أيضًا، لكن لم يكن لحديثه أي أثر يشبه ذلك الأثر الذي تركه علي في الريف على الإطلاق. كنا في المدينة مدركين بوضوح للحاجز الذي يقف بيننا، كانت لدي منزلة اجتماعية رفيعة وثروة طائلة، بينما كان هو شخصًا فقيرًا. لم يكن سيّدًا نبيلاً بل كان ابن شمّاس ومجرد مندوب للنائب العام. عمد كلٌّ منا إلى تضخيم ذلك الحاجز الفاصل بيننا، أنا بفضل شبابي الأغر وهو لأسباب أجهلها. وكان حين يكون برفقتنا في المدينة يشرع في انتقاد المجتمع الأرستقراطي بابتسامة متكلفة. في حين يلوذ بصمته متجهمًا في حضور الغرباء.

لا وجود لحاجز لا يمكن اختراقه، لكن أبطال الرومانسية الحديثة، على حد علمي بهم، غاية في الجبن. يعانون من الخمول والعجز والحساسية المفرطة. ومستعدون بكل سهولة لتسليم أنفسهم إلى هاجس فشلهم المحتم والإيمان بأن ظروفهم الشخصية قد خذلتهم. وبدلاً من الصراع والمقاومة تجدهم يكتفون بالانتقاد ونعت العالم بالبذاءة متناسين أن نقدهم هذا يدخل تدريجيًا ضمن نطاق البذاءة.

كنت محبوبة، لم تبد السعادة بعيدة أبدًا، بل بدا أنها لامست شغاف قلبي، ومضيت أعيش حياتي بيسر غير عابئة بفهم نفسي، جاهلة بما قد أطمح إليه أو أبتغيه من هذه الحياة. وهكذا فقد مضى بي الزمن، وعبر حياتي أناس أحبوني.. ومرت بي الأيام المشرقة والليالي الدافئة كوميض البرق.. غرد العندليب، وغاب شذا التبن الفواح، وغابت معه كل الذكريات الحلوة الغامرة. مرّ بي كل هذا على عجل كما مرّ بغيري، لم أحسن تقديره فاختفى دونما أثر، وانقشع كالضباب.. ترى أين مضى ذلك كله؟!

Twitter: @ketab_n

توفّي والدي، وتقدم بي العمر، وولّى معه كل شيء أسعدني، داعبني، وأمدني بالأمل. ولم يعد وقع المطر وقصف الرعود وخواطر السعادة وحديث العشق سوى ذكريات غابرة. أصبحت لا أرى سوى صحراء قاحلة ممتدة، لا حياة فيها على مرمى البصر.. وهناك عند الأفق بدا الظلام حالكًا مخيفًا.

أحدهم يدق جرس الباب.. إنه بيوتر سيبرجتش.

حين أرى الأشجار في الشتاء وأتذكر كم كانت مخضرّة لي في الصيف لا أستطيع إلا أن أهمس: «آه أيها الأعزاء»! وحين أرى أولئك الذين قضيت فصل الربيع معهم، فإنني أتأثر وأشعر بالأسى فأهمس بالشيء ذاته.

كان قد انتقل إلى العمل في المدينة منذ أمد بعيد بفضل مساعي والدي. إنه يبدو أكبر سنًا الآن، وتبدو حالته متردّية نوعًا ما، وكان قد توقف عن التصريح بحبه لي منذ أمد طويل. وترك الحديث في الأمور غير المنطقية. كان يمقت عمله الرسمي وبدا عليلاً إلى حد ما. وكان قد يئس من أن يظفر بأي شيء في هذه الحياة وفَقَد الرغبة بالعيش فيها.

جلس لتوّه قرب المدفأة وأخذ يحدّق إلى النار بصمت. لم أكن أعلم بما يتوجب عليّ قوله حين سألته:

«حسنًا.. ماذا لديك لتطلعني عليه»؟

«لا شيء»، أجابني.

عم الصمت ثانية وأخذ وهج النار الأحمر يداعب ملامح وجهه الكئيب. تذكرت الماضي فبدأت كتفاي بالارتعاش على الفور، وهوى

Twitter: @ketab_n

رأسي، وبدأت أنتحب بمرارة، شعرت بأسف لا يحتمل على نفسي وعلى هذا الرجل. ورغبت بشغف في استرجاع ما مضى وما تضن علينا الحياة به اليوم. لم أفكر اليوم في المنزلة الاجتماعية أو الثروة.

انفجرت بنشيج حار وغمغمت وأنا أضغط صدغي بأطراف أصابعي:

«يا إلهي، يا إلهي، لقد أهدرت حياتي»!

ظل صامتًا في جلسته ولم يقل لي: «لاتبكي». لقد فهم أنّه كان لا بد لي أن أبكي، وأنّه قد حان الوقت لذلك. رأيت في عينيه مدى إشفاقه عليّ، وأنا أيضًا كنت أشعر تجاهه بالشفقة، وربما بالحنق من ذلك الرجل الرعديد الفاشل الذي لم يستطع أن يصنع حياة لي أو حتى لنفسه.

حين رافقته إلى الباب، جعل ـ على ما أظن ـ يتلكأ عمدًا في ارتداء معطفه، قبّل يدي مرتين من دون أن ينبس بكلمة، ثم تأمل وجهي المصطبغ بالدموع مطولاً، أنا متيقنة أنه قد تذكر العاصفة في تلك اللحظة، تذكر شرائط المطر وضحكاتنا ووجهي ذلك اليوم. تشوق لقول شيء ما، ولكم كان سيسعده قوله، لكنه لم يقل شيئًا. بالكاد هز رأسه وضغط على يدي. كان الله في عونه!

بعد رحيله، عدت ثانية إلى التفكير، وجلست على البساط أمام المدفأة أتأمل الرماد وقد غطى الجمرات الحمراء وجعل وهجها يخبو.

كان الصقيع لا يزال ينقر بقوة على النوافذ، والريح تئز في المدخنة حين ولجت الخادمة تناديني ظنًا منها بأنني نائمة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الرهان

(1)

كانت ليلة خريفية حالكة الظلمة، أخذ المصرفي العجوز يجوس مكتبه جيئة وذهابًا، ويعود بذاكرته إلى ذلك الحفل الذي أقامه ذات مساء خريفي قبل خمسة عشر عامًا. أمّ الحفل نخبة من المثقفين، ودار الحديث حول مواضيع شائقة، من ضمنها موضوع العقوبات القصوى. ذهب جل الحضور ـ الذين كان من بينهم العديد من الصحافيين والكتاب ـ إلى معارضة عقوبة الإعدام التي اعتبروها فعلاً شائنًا مضى عصره، ولا يليق على الإطلاق ببلد يعتنق النصرانية، بل إنّ بعضهم شدّد على وجوب استبدال هذه العقوبة، حيثما كانت، بعقوبة السجن المؤبد.

«لا أوافقكم الرأي» قال مضيفهم المصرفي، «شخصيًا، لم أجرب أيًا من العقوبتين، ولكن لئن تأتّى للشخص أن يبدي حكمًا مسبقًا فإني أرى

Twitter: @ketab_n

أن عقوبة الإعدام أسمى أخلاقيًا وأكثر إنسانية من عقوبة السجن المؤبد. فالعقوبة القصوى تجهز على الشخص في الحال، في حين تقتله عقوبة السجن المؤبد على مهل. أيهما أكثر رفقًا، من يقتلك في بضع دقائق أم ذلك الذي يسلبك الحياة على مدى أعوام؟!»

«كلاهما على القدر نفسه من الوحشية»، علّق أحد الضيوف «ذلك لأنهما يشتركان في ذات الدافع الوحشي ... الحرمان من الحياة. وليست الدولة إلهًا لكي يحق لها سلب ما لا يمكن تعويضه متى شاءت».

كان من بين الضيوف محام شاب لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره، وحين سُئل عن رأيه أجاب:

«أظن أن العقوبتين متساويتان في البشاعة، إنما لو خيرت بينهما فإنني سأختارالثانية قطعًا، لأنْ تحيا كيفما اتفق خير من ألا تحيا على الإطلاق».

ثار جدل حيّ، وأخذت الحماسة المصرفي الذي كان يومها أصغر سنًا وأشد تعصبًا لآرائه، فضرب الطاولة بقبضته وصرخ في وجه الشاب:

«كلام فارغ، أراهن بمليونين أنك لن تستطيع البقاء في سجن انفرادي لخمسة أعوام».

«إذا كنتَ جادًا فيما تقول»، قال الرجل الشاب «فأنا أقبل الرهان، ولن أمكث خمسة أعوام فقط بل خمسة عشرعامًا.

«خمسة عشر؟! وهو كذلك». صاح المصرفي «أيها السادة، أراهن بمليونين»

«موافق، أنت ترهن ملايينك وأنا أرهن حريتي»، قال الشاب.

Twitter: @ketab_n

وهكذا فقد أُبرم هذا الاتفاق الجامح المفتقر للمنطق، ما أسعد المصرفي المرفّه العابث بملايين يعجز عن إحصائها. فراح يخاطب الشاب على مأدبة العشاء ساخرًا :

«فكر بالأمر مليًا أيها الشاب مادام هنالك متسع من الوقت، المليونان أمر تافه بالنسبة لي، لكنك ستخسر ثلاثًا أو أربعًا من خير سنيّ عمرك. أقول ثلاثًا أو أربعًا لأنك لن تستطيع البقاء أطول. لا تنسى أيضًا، أيها الرجل التعس، أن الحجز الاختياري أشد وطأة في تحمله من الحجز الإجباري. إن مجرد التفكير في أنه يحق لك الانطلاق إلى عالم الحرية ساعة تشاء كفيل بأن يجعل من حياتك في السجن جحيمًا لا يطاق. كم أرثي لحالك..!!»

وها هو المصرفي يتذكّر كل هذا فيما هو يذرع الغرفة ويتساءل: «ما كان الدافع وراء هذا الرهان؟ وأي منفعة تكمن في ضياع خمسة عشر عامًا من عمر الرجل وفي تبديدي لمبلغ كهذا؟! وهل سيحدد الرهان ما إذا كانت عقوبة الإعدام أسوأ أم أفضل من عقوبة الحجز المؤبد؟!..كلا، لم يكن الأمر برمته سوى حماقة وطيش عابث. كانت نزوة رجل مرفّه من جانبي، وجشع صرف بالمال من جانبه».

ولاح في مخيلته ما تبع ذلك المساء من أحداث، إذ تقرر أن يمضي الشاب فترة احتجازه تحت الرقابة المشددة في أحد الأكواخ الواقعة في حديقة المصرفي. واتفقا على أن يلتزم الشاب طيلة فترة الخمسة عشر عامًا بعدم تخطي عتبة الكوخ، أورؤية أي إنسان،أو سماع صوت بشري، أو استقبال الرسائل أو الصحف. في حين سمح له باقتناء الآلات الموسيقية والكتب، كما سمح له بكتابة الرسائل وبمعاقرة النبيذ والدخان.

Twitter: @ketab_n

طبقًا لبنود الاتفاقية، فإن الوسيلة الوحيدة التي يحق له التواصل من خلالها مع العالم الخارجي هي نافذة صغيرة، صنعت خصيصًا لهذا الغرض. حيث يترك عبرها طلباته للحصول على كل ما يشتهي من كتب وموسيقى ونبيذ مهما عظمت الكمية على أن يتسلمها من خلال النافذة أيضًا. وهكذا فقد اشتملت الاتفاقية على كل التفاصيل والتوافه التي من شأنها أن تعزز عزلة الشاب التامة في هذا الحجز. وتلزمه بإتمام الفترة كاملة بدءًا من الساعة الثانية عشرة مساء الرابع عشر من نوفمبر عام 1870 وحتى الساعة الثانية عشرة مساء الرابع عشر من نوفمبر عام 1885. و أنّ أية محاولة من قبله للإخلال بشروط الاتفاق تُعفي المصرفي من التزامه بدفع المليونين للشاب، ولو كانت قبل انتهاء المدة بدقيقتين.

في السنة الأولى من احتجازه، كانت رسائل السجين المختصرة تشف عما يعانيه من وحشة، وما يكابده من كآبة. كان بالإمكان سماع عزفه المتواصل على البيانو ينبعث من الكوخ ليل نهار. وقد علل رفضه النبيذ والدخان بأنْ كتَبَ أن النبيذ يهيج الرغبات الخابتة التي هي ألد أعداء السجين. علاوة على أنه ليس هنالك ما هو أكثر إحباطًا من احتساء النبيذ الفاخر منفردًا. وفيما يخص التبغ فقد زعم أنه أفسد جو كوخه. الكتب التي أرسل في طلبها في العام الأول كانت ذات طابع خفيف على وجه العموم، فهي إمّا روايات ذات حبكة غرامية معقّدة أو قصص خيالية مثيرة.

في السنة الثانية صمت صوت البيانو في الكوخ. واكتفى السجين بطلب الكتب الكلاسيكية فقط. أما في السنة الخامسة، فقد عادت الموسيقى تنساب من الكوخ مجددًا، وتراجع السجين عن رفضه للنبيذ. أولئك الذين

Twitter: @ketab_n

راقبوه عبر النافذه زعموا أنه لم يفعل شيئًا طيلة ذلك العام سوى الأكل والشرب والاضطجاع على السرير. وهو إما يتثاءب باستمرار، أو يحدّث نفسه غاضبًا. لم يقرأ في ذلك العام، غيرأنه كان يسهر بعض الليالي ليقضي ساعات في الكتابة حتى إذا ما استيقظ في الصباح، مزّق كل مخطوطاته وأجهش بالبكاء، فقد سُمع نحيبه في الجوار غير مرة.

في النصف الأخير من السنة السادسة بدأ السجين في دراسة اللغات، والفلسفة، والتاريخ بحماسة شديدة ودفع بنفسه بكل لهفة في أتون الدراسة لدرجة أنه لو لم يكن لدى المصرفيّ ما يفعله سوى ملاحقة طلبات السجين من الكتب لكفاه. وقد جلب له ما يقارب الستمائة مجلد في ظرف أربعة أعوام بناء على طلبه. خلال هذه الفترة تسلم المصرفي الرسالة التالية من السجين:

«سجاني العزيز،أكتب إليك هذه السطور بست لغات، ولتعرضها على أناس ذوو دراية بها، فإن لم يكن فيها ثمة خطأ لغوي، فإنني أناشدك أن تطلق طلقة نارية واحدة في الحديقة. ستثبت لي هذه الطلقة أن جهودي لم تذهب سدى. لعمري أن الجان من كل سن وأرض يتكلمون شتى اللغات، لكنهم جميعًا يتقدون بنفس اللهب. آه لو تعلم أي سعادة غير دنيوية تلك التي تنعم بها روحي الآن حين بت أفقه حديثهم».

لُبّيت رغبة السجين، وأمرَ المصرفيّ بإطلاق رصاصتين في سماء الحديقة.

بعد السنة العاشرة، ربض السجين بغير حراك على الطاولة، وعكف على قراءة الإنجيل. وقد بدا غريبًا للمصرفيّ أن يُقدِم شخص قد درس

Twitter: @ketab_n

ستمائة مجلد تعليمي في مدة أربعة أعوام على إنفاق قرابة العام لدراسة كتاب ضئيل وسهل الإدراك كهذا. تلا الإنجيل تناوله لكتب اللاهوت وتاريخ الأديان.

في آخر عامين من مدة احتجازه، قرأ السجين كمًّا مهولاً من الكتب بغير تمييز لمواضيعها. فكان ينشغل بالعلوم الطبيعية مرة، ومرة يطلب كتبًا لبايرون أو شكسبير. وقد حدث أن ضمن إحدى رسائله طلبه لكتب في علم الكيمياء، وكتيّب طبي، ورواية، وبعض البحوث في الفلسفة وعلم اللاهوت. كانت قراءاته تنم عن شخص يتخبط في البحر بين حطام سفينه، فلا يلبث أن يتشبث بسارية حتى يقبض على أخرى في محاولات مستميتة للنجاة.

(2)

تذكّر المصرفي العجوز هذا كله وفكّر:

«غدًا، في تمام الساعة الثانية عشرة، سوف يستعيد السجين حريته، وسوف أضطر إلى نقده مليونين بموجب الاتفاق، ولإنْ فعلتُ، فعليّ السلام، سأكون حينئذ قد دُمرت كليًا».

قبل خمسة عشرعامًا، كان المصرفيّ يعجز عن إحصاء ملايينه الجمة، واليوم بات يخشى سؤال نفسه: «أيهما أعظم، ديونه أم أصوله» ؟!

المقامرة اليائسة في البورصة، المضاربة الطائشة، والتهور الذي لم يستطع كبح جماحه رغم مرور الأعوام. كل هذا أدى إلى انهيار ثروته تدريجيًا. وبات المليونير المغرور الجريء والمعتدّ بنفسه مصرفيًا من الطبقة المتوسطة، يجفل من كل صعود أو هبوط في استثماراته.

Twitter: @ketab_n

«رهان ملعون» غمغم المصرفي وهو يقبض على رأسه بقنوط، «لِمَ لم يقض الرجل نحبه؟! هو بالكاد في عقده الرابع الآن، سوف يسلبني آخر فلس لديّ ويتزوج به، ويستمتع بحياته، ثم يقامر في سوق الأسهم بينما أرنو إليه بنظرات ملؤها الحسد، كمتسوّل، وأسمع منه كل يوم نفس الجملة: «دعني أساعدك، فأنا مدين لك بالسعادة التي أنعم بها... كلا، لا قدرة لي على احتمال هذه المهانه. إن السبيل الأوحد لتفادي الذل والإفلاس هو موت هذا الرجل».

أصغى المصرفيّ إلى دقات الساعة تعلن الثالثة تمامًا، كل من بالمنزل كانوا نيامًا، وتناهى إليه صوت حفيف الأشجار المرتجفة بردًا بالخارج. فتح الخزانة المضادة للحريق محاذرا ألا يحدث جلبة، وتناول بكل رفق مفتاح الباب الموصد منذ خمسة عشر عامًا. ارتدى معطفه وغادر المنزل. كانت الحديقة الباردة تسبح في العتمة. لا يزال المطر ينهمر، وثمة ريح رطبة قارسة تعصف بالحديقة، تقلق راحة الأشجار وتئز بين أغصانها. زر المصرفي عينيه، إلا أنه لم يستطع تمييز أيٍّ من الأرض، أو التماثيل البيضاء، أو الكوخ، أو حتى الأشجار. توجّه نحو البقعة التي ينتصب عليها الكوخ وهتف مناديًا الحارس مرتين. حين لم يحر جوابًا، تيقّن أنه لاذ بملجأ ما ليحتمي من شراسة الطقس، وعلى الأرجح أنّه نائمٌ في المطبخ أو الدفيئة.

«إذا واتتني الشجاعة لتنفيذ ما أعتزم فعله».. فكّر الرجل العجوز .. «فإنّ أصابع الاتهام ستوجه أولاً إلى البواب».

تلمّس طريقه في العتمة باحثًا عن الدرجات المفضية إلى الباب، ومنه تسلل إلى مدخل الكوخ، اهتدى إلى طريقه نحو دهليز ضيق وأشعل عود

Twitter: @ketab_n

ثقاب، لم يكن هنالك أحد، لمح هيكلاً لسرير مهجور بغير فراش، ثم موقدًا من الحديد المسبوك في الركن. وأختام الشمع على الباب المفضي إلى غرف السجين التي ظلّت بلا مساس.

حين انطفأ عود الثقاب، راح العجوز يختلس النظر من النافذة الضيقة وهو يرتعش انفعالاً. شمعة وحيدة كانت تحترق بوهن لتضيء غرفة السجين بنور خافت، وهو منكبٌّ على المنضدة لا يرى منه سوى ظهره والشعر الذي يغطي رأسه ويديه. ثمة كتب مفتوحة ملقاة على المنضدة، وفوق اثنين من المقاعد، وعلى السجادة المحاذية للمنضدة.

خمس دقائق انقضت ولم يأت السجين بأية حركة. خمسة عشر عامًا من الحجز قد علّمته البقاء ساكنًا. نقر المصرفي بإصبعه على النافذة، فلما لم تبدر من السجين أية استجابة أزاح المصرفي الأختام عن الباب بحذر شديد ثم أدار المفتاح في ثقب الباب. خشخش القفل الصدئ، وصرّ الباب. توقّع المصرفي سماع وقع خطوات السجين أو شهقة اندهاش، لكن حين مرت ثلاث دقائق والغرفة ما تزل على حالها من الهدوء، اتخذ قراره ودلف إلى غرفة السجين.

خلف المنضدة كان يقبع رجل، ليس كمثل الرجال العاديين، بلا حراك. كان أشبه بهيكل عظمي شُدّت عليه جلدة رقيقة لتلتصق بعظامه. له خصل طويلة مفتولة كالنساء، ولحية كثّة. وله وجه أصفر تلفحه صبغة ترابية. غائر الخدين بظهر ضيق وطويل. وكانت يده التي أسند إليها رأسه الأشعث من الدقة والضآله بحيث أنه كان من المخيف النظر إليها. ومن يرى وجهه الناحل المسن، وشعره الذي وخطه الشيب لا يمكن أن يصدق أنه لا يزال

Twitter: @ketab_n

في الأربعين من عمره. كان يغط في النوم، وقبالة رأسه المنكس ربضت ورقة كُتب عليها شيء ما بخط جميل.

«ياله من مخلوق مسكين..!!» حدث المصرفي نفسه ، «إنه نائم وهو على الأرجح يحلم بالملايين، وليس عليّ سوى أخذ هذا الرجل نصف الميت، وإلقائه على السرير، ثم كبت أنفاسه لبرهة بالوسادة، ولن يتمكن أعتى خبير حي الضمير من إيجاد أصغر دلالة على تعرضه للاغتيال. إنما لنرى أولاً ما كتب هنا».

التقط المصرفي الورقة من على الطاولة وقرأ التالي:

«غدًا، بحلول الظهيرة أستعيد حريتي وحقي في مخالطة الناس. ولكن قبل مغادرتي لهذه الغرفة ورؤية ضوء الشمس من جديد، هناك ما يتحتم عليّ إخبارك به. أشهدك، وأنا في كامل وعيي،، كما أشهد الرب القابض على روحي، على أنني أحتقر الحرية والحياة والعافية، وكل ما نعتته كتبكم بأنه متعة من متع الحياة الدنيا.

لقد عكفت منذ خمسة عشر عامًا على دراسة الحياة الدنيوية بكل عزيمة، صحيح أنني لم أغادر الغرفة، ولم ألتق إنسيًّا، لكنني في بطون كتبكم احتسيت النبيذ المعطر، أنشدت أعذب الأناشيد، طاردت مهور الأيل والخنازير البرية في الغابات، وعشقت النساء....حسناوات أثيرات كالغمام، أبدعهن سحر الشعراء والعباقرة، زرنني ليلاً، وهمسن في أذني بأجمل الحكايا التي أطلقت لمخيلتي العنان. وفي كتبكم تسلقت ذرى جبال ألبرز ومونت بلانك. ومن هناك شهدت شروق الشمس كل صباح وراقبتها في المساء وهي تغمر

Twitter: @ketab_n

السماء والمحيط وقمم الجبال بطوفان الذهب القرمزي. وشاهدت من هناك وميض البرق فوق رأسي يفلق غيوم العاصفه. رأيت غابات خضر، ومروجًا، وأنهُرًا، وبحيرات، ومدنًا. طربت لأغاني النساء المغويات، ولألحان مزامير الرعاة. لمست أجنحة الملائكة الوديعة التي هبطت لكي تحدثني عن الرب. وفي كتبكم قذفت بنفسي إلى هاوية بلا قعر، حققت المعجزات، قاتلت وأحرقت المدن، بشّرت بديانات جديدة، وأخضعت ممالك بأسرها.

لقد منحتني كتبكم الحكمة. إنّ سائر أفكار الإنسان القلقة التي تراكمت عبر العصور قد ضُغطت في حيز صغير في عقلي. إنني على يقين بأنني أكثر أهل الأرض حكمة.

وأنا أحتقر كتبكم، أحتقر الحكمة، ونِعَم هذا الكون كلها. فهي عديمة الفائدة كالسراب، زائلة، موهمة، ومضلّة. حتى الصالحون منكم ذوو الإباء والحكمة سوف يمسحهم الموت من على وجه الأرض وكأنهم لم يكونوا سوى جرذان نقّبت تحت سطح الأرض. ثم إن ذريتكم، وتاريخكم، وأرواحكم الخالده ستشتعل أو تتجمد بمعية هذا الكوكب الأرضي.

لقد فقدتم صوابكم وسلكتم سبيل الضلالة، اتخذتم من الأكاذيب حقائق، واستبدلتم الجمال بالقبح. قد تتعجبون لو نجم عن بعض الحوادث الغريبة أن أثمرت أشجار التفاح والبرتقال ضفادع وسحالىَ بدلاً من الفاكهة. أو إذا ما فاحت رائحة الخيول المتعرّقة من الورود. لذا فأنا أعجب منكم أنتم الذين استبدلتم الجنّة بالأرض. ولا أود فهمكم.

Twitter: @ketab_n

ولكي أثبت لكم فعليًا كم أحتقر تلك الترهات التي تعيشون من أجلها فإنني أتخلى عن المليونين التي حلمت يومًا بالتنعم بها وبت أحتقرها اليوم. ولأجل إسقاط حقي في المطالبة بالمال فإنني سأخرق الاتفاق وذلك بمغادرة هذا المكان قبل الموعد المحدد بخمس ساعات».

عندما أتم المصرفيّ قراءة الرسالة، أعادها إلى مكانها على الطاولة، قبّل الرجل الغريب على رأسه ثم غادر الكوخ منتحبًا. لم يسبق أن واتاه شعور بالخزي كهذا الذي يحسّه الآن حتى عندما ألّمت به خسارة فادحة في سوق البورصة. استلقى في سريره حال وصوله إلى منزله إلا أن دموعه وعواطفه المتهيجة حالت دون نومه لساعات.

في الصباح اقتحم الحراس المنزل بوجوه شاحبة وأخبروه بأنهم شاهدوا الرجل القاطن في الكوخ يتسلل من النافذة إلى الحديقه ثم يعبر البوابة ويختفي. انطلق المصرفيّ من فوره مع الخدم إلى الكوخ، وتأكد بنفسه من هروب السجين. ولتفادي إثارة كلام لا طائل منه، تناول من على الطاولة رسالة السجين التي تفيد بتنازله عن المليونين، ولما عاد إلى المنزل حفظها في خزنته المقاومة للحريق.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Truman Capote

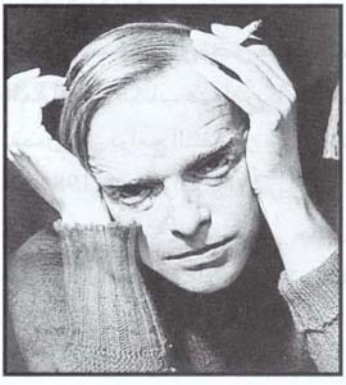

ترومان كابوتي

ولد في نيو أورلينز في 30 سبتمبرعام 1924 لأمّ هجرته بعد أن انفصلت عن والده الذي حكم عليه بالسجن، عاش سنين طفولته الأولى مع بنات خالاته الكبيرات في السن اللواتي اعتنين بأمّه اليتيمة في صغرها. حين تزوجت والدته من رجل أعمال كوبي (جو كابوتي) انتقل ترومان للعيش معها في نيويورك، وهكذا اكتسب كنيته التي عرف بها (كابوتي). ألحقته أمّه بمدرسة جيّدة إلا أنّ تحصيله العلمي كان متدنيًا في كل المواد باستثناء القراءة والكتابة. كان كابوتي قد أعلن مبكرًا رغبته في احتراف الكتابة، وقرر عدم متابعة دراسته الجامعية. حصل على وظيفة بسيطة في صحيفة «ذا نيويوركر» ثم بدأ يعلن عن نفسه في الأوساط الثقافية والجمعيات الأدبية، وبدأ العمل الجاد على نتاجه الأدبي من قصص قصيرة وروايات ومسرحيات، التي حققت له شهرته المبكرة، حتى كللها بكتابه «بدم بارد» الذي بناه على خلفيّة جريمة

Twitter: @ketab_n

واقعيّة تناقلتها الصحف آنذاك وأثارت فضول كابوتي فتابع البحث فيها وكتبها بطريقة جمعت بين السرد الروائي والتقرير الصحفي. وبفضل هذا الكتاب تربع كابوتي على قائمة أفضل الكتّاب في أمريكا لعدة سنين، وكان الضيف المفضل لكل برامج التلفزيون والمقابلات الصحفية. توفي عام 1984 في الرابع والعشرين من أغسطس، قبل أن يكمل عامه الستين، بعد عمر حافل بالصخب والجدل حول أسلوب حياته وعاداته الإجتماعية.

Twitter: @ketab_n

ميريام

لعدة سنين خلت، عاشت السيدة ميلر وحيدةً في شقة لطيفة، مكوّنة من غرفتين ومطبخ في منزل مرمّم من الحجر الرملي، يطل على النهر الشرقي. كانت أرملة، وقد خلّف لها السيد ميلر مبلغ تأمين لا يستهان به. ولأن اهتماماتها محدودة، وليس لها صحبة يذكرون، فهي قلما ابتعدت أكثر عن دكان الزاوية.

لم يبدُ أن سكّان المنزل الآخرين كانوا يلحظونها على الإطلاق، فهي لا تلقي بالاً لهندامها، ملابسها رتيبة، وشعرها رمادي داكن معقوص بإحكام إلى الوراء، فضلاً عن كونها لم تستخدم أدوات الزينة قط، رغم ملامحها الباهتة وغير الملفتة.

بلغت السيدة ميلر الحادية والستين في عيد ميلادها الأخير. ولمّا تزل نشاطاتها محدودة، محصورة في المحافظة على نظافة الغرفتين، والتدخين من وقت لآخر ورعاية طائرها الكناري.

Twitter: @ketab_n

إلى أن التقت ميريام. كانت تثلج في تلك الليلة وكانت السيدة ميلر قد أنهت لتوها تجفيف أطباق العشاء، وجلست تتصفح جريدة اليوم حين وقع بصرها على إعلان عن فيلم سيعرض في أحد مسارح الجوار. بدا العنوان مشجعًا، فارتدت معطفها الفرو وحذاءها المطاط وغادرت الشقة تاركة مصباح الردهة مضاءً، إذ لم تكن تمقت شيئًا مقتها للعتمة.

كانت ندف الثلج تتساقط بنعومة ولما تترك أثرها على الطرقات بعد، والريح القادمة عبر النهر تهبّ على مفارق الطرقات. حنّت السيدة ميلر خطاها ناكصة رأسها كأنها خلد يشق أخدوده على عمى. توقفت عند إحدى الصيدليات وابتاعت علبة من سكاكر النعنع.

كان صفًا طويلاً قد امتد أمام شباك التذاكر، أخذت مكانها في نهايته.

ـ سيكون هناك انتظار على المقاعد كافة.

همهم أحدهم بصوت متعب.

نقّبت السيدة ميلر في حقيبتها الجلديّة حتى جمعت المبلغ المطلوب بالضبط للدخول، كان الصف يتحرك ببطء، فأخذت السيدة ميلر تتطلع حولها علّها تجد ما تنشغل به حين لفتت انتباهها فتاة صغيرة تقف تحت السرادق.

كان لها أغرب وأطول شعر رأته السيدة ميلر على الإطلاق، شعر ذو لون فضي مبيض كأنّه شعر مهقاء، ينسدل حتى خصرها وتتطاير خيوطه الملساء مع نفحات الريح. أمّا الفتاة فقد كانت نحيفة وضعيفة البنية، تطبعها لمسة من الأناقة الساحرة في وقفتها تلك، وهي تدسّ كلا إبهاميها في جيبيّ معطفها المخملي البرقوقي.

Twitter: @ketab_n

شعرت السيدة ميلر بإثارة عجزت عن تفسيرها، وحين رمقتها الصغيرة بنظراتها ابتسمت لها بحرارة. تقدمت الفتاة من السيدة ميلر وخاطبتها قائلة:

«هلا صنعت معروفًا من أجلي؟»

«سيسرني ذلك إن كان باستطاعتي».

«آه، إنه غاية في البساطة، لا أريد منك سوى أن تبتاعي لي بطاقة دخول، فهم لن يسمحوا لي بالدخول خلاف ذلك، هاكِ ثمن البطاقه».

ثم سلمت السيدة ميلر بلباقه ثلاث عملات نقدية.

دخلتا معًا إلى المسرح حيث أرشدهم الحاجب إلى قاعة الانتظار معلنًا أن العرض سيبدأ خلال عشرين دقيقة.

«أشعر وكأنني ارتكبت جرمًا حقيقيًا» قالت السيدة ميلر وهي تأخذ مكانها بابتهاج.

«أعني أن هذا الشيء مخالف للقانون، أليس كذلك؟ آمل ألا أكون قد أخطأت؟ هل تعرف والدتك أين أنت يا عزيزتي؟ أقصد أنها لا بد تعلم، أليس كذلك؟»

التزمت الصغيرة الصمت وهي تفك أزرار معطفها ثم تخلعه وتطويه على ركبتيها. كان ثوبها الداخلي أنيقًا داكن الزرقة. أخذت أصابعها الموسيقية الدقيقة تعبث بسلسلة ذهبية تدلّت من عنقها. وإذ فحَصَتها بعناية، فقد قررت السيدة ميلر أن الميزة الأبرز في هذه الفتاة ليست شعرها بل عينيها البندقيتين، عينين ثابتتين، خاليتين من أي تعبير طفولي، ونظرًا لكبر حجمهما فقد كادتا تلتهمان وجهها الصغير.

Twitter: @ketab_n

«ما اسمك يا صغيرتي؟»، سألت السيدة ميلر وهي تقدم لها حلوى النعنع.

«ميريام..!» قالتها بنبرة المستهجن وكأنها معلومة معروفة مسبقًا.

« هذا غريب حقًا، إن اسمي أيضًا ميريام، وهو ليس بالاسم الشائع..! لا تخبريني الآن أن اسم عائلتك ميلر ؟!»

«فقط ميريام».

«أو ليس ذلك غريبًا؟!»

«إلى حد ما»، قالت ميريام وقلّبت حلوى النعنع على لسانها.

تضرجت السيدة ميلر وتململت في جلستها بانزعاج:

«إن لديك مفردات كبيرة على فتاة في مثل عمرك».

«حقًا؟»

«بالطبع»، تمتمت السيدة ميلر على عجل متعمدة تغيير دفة الحديث، «هل تحبين مشاهدة الأفلام ؟»

«ومن أين لي أن أعلم»، أجابت ميريام «لم أحضر واحدًا من قبل».

بدأت النسوة يتزاحمن في الردهة وتناهت قعقعة الشريط الإخباري وأصوات قنابل تتفجر في البعيد.

نهضت السيدة ميلر متأبطة حقيبتها وهي تقول:

«أعتقد أنه يتوجب علي الذهاب الآن إذا أردت الحصول على مقعد. سررت بلقائك».

Twitter: @ketab_n

اكتفت ميريام بإيماءة واهية.

استمر الثلج في الهطول طيلة ذلك الأسبوع، سارت العجلات والأقدام على الطرقات دونما ضجيج، وكأن مهام الحياة توبعت سرًا خلف ستار شفاف إنما غير منفوذ إليه. في هدأة هذا الهطول تلاشت السماء والأرض، ولم يعد هنالك سوى ندف الثلج يتراقص على هام الرياح فيكسو النوافذ بالصقيع، ويملأ الغرف برودة ويميت ويخرس المدينة. كان من المحتم الإبقاء على مصباحٍ واحدٍ على الأقل مشتعلاً في أي ساعة كانت. اختلطت الأيام على السيدة ميلر فلم تعد الجمعة تختلف عن السبت، وقد قصدت الدكان يوم الأحد فقط لتجده مغلقًا.

ذلك المساء أعدت لنفسها بيضًا مخفوقًا وزبدية من حساء الطماطم، وارتدت قفطانها الصوفي وطلت وجهها بأحد كريمات العناية بالبشرة، بعدئذ اندست في سريرها الوثير تقرأ إحدى المجلات فيما أسندت قدميها إلى قربة من الماء الساخن. كانت منهمكة في القراءة حين رن جرس الباب، في البداية اعتقدت أن الطارق لابد قد أخطأ العنوان وسينصرف من نفسه بعد حين، إلا أن الجرس استمر في الرنين متحولاً إلى طنين منتظم. نظرت إلى الساعة فإذا هي قد تعدت الحادية عشرة بقليل. بدا ذلك غريبًا، فهي لا تظل مستيقظة بعد العاشرة على الإطلاق. انسلت من السرير على عجل وتوجّهت نحو الباب وهي تخب عبر غرفة المعيشة بقدمين حافيتين.

«أنا قادمة، كن صبورًا من فضلك».

بدا المزلاج عالقًا فأخذت تديره يمنة ويسرة فيما لم يرفع الطارق إصبعه

Twitter: @ketab_n

عن الجرس وهلة. فصرخت بحنق: « كف عن ذلك!»

أخيرًا تزحزح لسان القفل ففرجت الباب مقدار إنش وهي تصيح:

«ماذا هنالك بحق السماء؟!»

«مرحبًا»، قالت ميريام

«أوه.. مرحبًا» غمغمت السيدة ميلر وهي تخطو بتردد في الردهة «إنك تلك الفتاة الصغيره..!!»

«ظننت أنك لن تفتحي لي أبدًا لكنني أبقيت إصبعي على الزر فقد كنت متيقنة من وجودك بالمنزل، ألست سعيدة لرؤيتي؟»

لم تحر السيدة ميلر جوابًا ووقفت تنظر للفتاة التي كانت ترتدي المعطف المخملي نفسه مع قلنسوة تتماشى معه هذه المرة. كان شعرها الأبيض معقوصًا في ضفيرتين لّماعتين مثنيتين ومعقودتين من الأطراف بشريطة بيضاء ضخمة.

«بما أنني انتظرت طويلاً فمن الأحرى بك دعوتي للدخول على الأقل».

«إن الوقت متأخر جدًا».

رمقتها ميريام بنظرات جوفاء: «وأي فرق يشكله الوقت هنا؟ دعيني أدخل، إن الجو بارد وأنا أرتدي ثوبًا حريريًا».

وبحركة رقيقة حثت السيدة ميلر على التنحي جانبًا وولجت إلى داخل الشقة.

رمت بمعطفها وقبّعتها على أحد المقاعد. كانت بالفعل ترتدي ثوبًا حريريًا. حرير أبيض، حرير أبيض في فبراير! كانت حاشية الثوب مطوية

Twitter: @ketab_n

بأناقة والأكمام طويلة. كان يصدر حفيفًا خافتًا فيما كانـــت تجوب الغرفة.

«أعجبني منزلك»، قالت ميريام» تعجبني السجادة. الأزرق هو لوني المفضل».

مست بإصبعها وردة ورقية في مزهرية على طاولة القهوة ثم علقت بوهن :

«تقليد..! أمر محزن، ألا تبعث الأشياء المقلَّدة على الحزن؟»

جلست ونشرت تنورتها على الأريكة بأناقة.

«ماذا تريدين؟!»، سألت السيدة ميلر.

«اجلسي»، قالت ميريام «كم تغيظني مشاهدة الناس وقوفًا هكذا».

غاصت السيدة ميلر في أحد المقاعد وهي تكرر «ماذا تريدين؟»

«أتعلمين، لا أظنك فرحة بقدومي».

للمرة الثانية لم تحصل السيدة ميلر على إجابة عن سؤالها، طوّحت يديها بإبهام. قهقهت ميريام ثم اتكأت بظهرها على كومة من الوسائد القطنية. لاحظت السيدة ميلر أن الفتاة أقل شحوبًا مما كانت تتذكرها. كانت وجنتاها مضرّجتان.

«كيف عرفت أين أقطن؟!»

تجهمت ميريام «هذا ليس بالسؤال اللائق على الإطلاق. ما اسمك؟ ما اسمي؟»

«لكن اسمي ليس مدرجًا في دليل الهاتف».

Twitter: @ketab_n

«أوه، لمَ لا نتحدث حول موضوع آخر؟»

هتفت السيدة ميلر: «لابد أن والدتك مجنونة لتترك طفلة مثلك تتجول طيلة ساعات الليل، وفي ثياب سخيفة كهذه، لابد أنها قد فقدت رشدها».

نهضت ميريام واتجهت إلى إحدى الزوايا حيث كان قفص طيور مغطىً ومعلّقًا في السقف بسلسلة. اختلست نظرة من تحت الغطاء..

«إنه كناري» صاحت بدهشه «هل تمانعين لو أيقظته؟ كم أحب سماعه يغني!»

«أتركي تومي وشأنه» ردعتها السيدة ميلر «إياك أن تتجرئي على إيقاظه.»

«كما تشائين»، قالت ميريام «لكني لا أفهم لم لا أسمعه يغني؟!».

صمتت قليلاً ثم تابعت:

«هل لديك شيء يؤكل؟ إنني أتضور جوعًا، إنّ قدحًا من الحليب مع شطيرة مربى ستفي بالغرض.»

«أصغ إلي»، قالت السيدة ميلر وهي تنهض من على المقعد «أصغ، إذا أعددت لك شطيرة شهية فهل ستكونين فتاة عاقلة وتعودين إلى بيتك؟ لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل، أكيدة من ذلك.»

«إنها تثلج» تذمرت ميريام «والجو معتم وقارس البرودة!!»

«ما كان يتوجب عليك الحضور إلى هنا من الأساس، «قالت السيدة ميلر وهي تجهد للتحكم بصوتها.

Twitter: @ketab_n

«لا دخل لي بالطقس، إن أردت الحصول على الطعام فلا بد أن تعديني بالمغادرة».

حكّت ميريام خدها بطرف ضفيرتها وغامت نظراتها فيما بدا كأنها تفكر وتزن عرض السيدة ميلر.

التفتت نحو القفص وقالت «حسن جدًا... أعدك».

كم تبلغ من العمر؟ عشرة أعوام؟ أحد عشر؟ فتحت السيدة ميلر في المطبخ مرطبانًا من مربى الفراوله وقطّعت أربع شرائح من الخبز، سكبت قدحًا من الحليب، ثم توقفت لإشعال لفافة. ولأي سبب أتت؟

شردت بتفكيرها وهي تشعل عود الثقاب بيدين مرتعشتين حتى لسعت النار طرف إصبعها. تناهى إلى سمعها صوت تغريد الكناري، كان يغرد كما يفعل في الصباح وليس في أي وقت آخر.

«ميريام» هتفت من المطبخ «ميريام، أما نهيتك عن إزعاج تومي؟»

وإذ لم تتلق إجابة، هتفت ثانيةً فكان كل ما سمعته هو تغريد الكناري.

أخذت نفسًا من اللفافة إلا أنها اكتشفت أنها قد أشعلت الطرف الخاطئ منها...آه، حقًا، يجب ألا تفقد رباطة جأشها.

حملت الطعام على صينية إلى الداخل ووضعته على إحدى مناضد القهوة. أول ما شاهدته أن الغطاء الليلي كان لا يزال مسدلاً على قفص الكناري، وكان تومي يغرد بداخله. تملكها شعور بالرهبة، كانت الغرفة خالية. عبرت السيدة ميلر كوّة تقود إلى مضجعها، شهقت وهي تقف بالباب.

«ماذا تفعلين ؟»

Twitter: @ketab_n

رشقتها ميريام بنظرة غير اعتيادية، كانت تقف أمام منضدة الزينة وهنالك علبة مجوهرات مفتوحة قبالتها، تفحصت وجه السيدة ميلر لوهلة مرغمة عينيها على الالتقاء ثم ابتسمت «لا يوجد ما هو جيد هنا.. لكن هذا أعجبني» قالت هذا وهي ممسكة ببروش من حجر كريم ذي نقش بارز «إنه فاتن».

«أعتقد.. ربما يحسن بك أن تضعيه جانبًا». قالت السيدة ميلر مستشعرة فجأةً الحاجة إلى المساندة، اتكأت على إطار الباب إذ أحست بأن رأسها ثقيل بصورة غير محتملة. كان حملاً أثقلَ وتيرة خفقان قلبها. بدأ الضوء يرتعش متخافتًا..

«أرجوك يا طفلتي، إنه هديةٌ من زوجي».

«لكنه جميل وأنا راغبة فيه» قالت ميريام «أعطنيه».

بينما كانت تقف هناك تحاول أن تعثر على جملة تستطيع من خلالها إنقاذ البروش، خطر للسيدة ميلر أنه لا يوجد من يمكنها اللجوء إليه. كانت وحيدة: حقيقة لم تخطر ببالها منذ زمن. كان التوكيد الصرف لهذه الحقيقة مذهلاً ، لكن هنا في غرفتها الشخصية القابعة في هذه المدينة التي أخرسها الشتاء كانت هنالك أدلة لا تستطيع تجاهلها أو مقاومتها.

أكلت ميريام بنهم، وحين نفذت الشطائر والحليب أخذت تلتقط الفتات من على الطبق بأطراف أصابعها، لمع البروش على صدر ثوبها. بدت الصورة الجانبية المنقوشة على البروش انعكاسًا بارعًا لمن ترتديه.

«كان ذلك شهيًا جدًا» تنهدت ميريام «إلا أن كعكةً من الجوز أوالتوت

Twitter: @ketab_n

ستكون الآن مثالية، شهيةٌ هي الحلويات، ألا تظنين ذلك؟!»

كانت السيدة ميلر جاثمة على المقعد تدخّن لفافتها بقلق، وقد انكفأت شبكة شعرها إلى أحد الجوانب فتدلت بعض الخصلات على محيّاها، عيناها تحدّقان ببلاهة إلى الفراغ، وخداها مرقشان ببقع حمراء وكأن صفعة عنيفة قد تركت آثارها الدائمة عليهما.

«هل أجد لديك حلوى.. كعكة مثلاً»؟

نفضت السيدة ميلر رماد اللفافة على السجادة، تمايل رأسها قليلاً فيما كانت تحاول تركيز نظراتها.

«لقد وعدْتني بالمغادرة إذا ما حضرت لك الشطائر».

«ويحي، هل فعلت حقًا؟»

«لقد وعدتني، وأنا الآن متعبة جدًا وأشعر بأنني لست على ما يرام».

«لا تقلقي» قالت ميريام «كنت أغيظك.. ليس إلا».

التقطت معطفها وطوحت به فوق ذراعها ثم عدّلت من وضع قلنسوتها أمام المرآة. بعدها انحنت بالقرب من السيدة ميلر وهمست:

«قبليني وتمني لي ليلة هادئة»

«رجاءً، أفضّل ألا أفعل»

رفعت ميريام أحد كتفيها وقوست حاجبها قائلة «كما تشائين».

ثم اتجهت نحو منضدة القهوة قاصدة المزهرية ذات الورود الورقية وحملتها حيث الجزء القاسي من الأرضية غير مغطىً وأفلتتها. تناثرت قطع

Twitter: @ketab_n

الزجاج في كل اتجاه.. داست بقدمها على الباقة الورقية ثم مشت ببطء نحو الباب..وقبل أن توصد الباب خلفها اختلست نظرة متطفلة على السيدة ميلر.

قضت السيدة ميلر نهار اليوم التالي راقدة في سريرها، نهضت مرة واحدة فقط لإطعام الكناري وشرب قدح من الشاي الساخن. فحصت درجة حرارتها فوجدتها طبيعية ورغم ذلك فقد راودها ذلك النوع من الكوابيس التي تهيّجها الحمى عادة. وقد استمرت أمزجة هذه الكوابيس المضطربة معها حتى وهي مستلقية على سريرها تحدق في السقف بعينين متسعتين.

أحد الأحلام انسل بين أحلامها كفكرةٍ محيرة غامضة في سمفونية معقدة، ورسم مشاهد حددت بدقة، كأنما خطّتها يد قوة موهوبة: فتاة صغيرة ترتدي ثوب عرس، وإكليلاً من ورق الشجر، تقود موكبًا كئيبًا على طريق منحدر جبلي. صمت غير اعتيادي كان يسود هذا الركب، إلى أن سألت امرأة في المؤخرة : «إلى أين هي متجهة بنا؟» «لا أحد يعلم» قال شيخ في المقدمة «ولكن، أليست جميلة؟» صدح صوت ثالث «أليست كزهرة الصقيع؟.. براقة وناصعه؟».

حين أفاقت صباح الثلاثاء كانت تشعر بتحسن، حُزَمٌ من أشعة الشمس الباهرة تنحدر عبر أضلاع حاجبة النور الفينيسية، مزقت خيالاتها المريضة. فتحت النافذه لتكتشف يومًا لطيفًا كأيام الربيع، رتلٌ من الغمام الصافي تغضن على خلفية امتداد زرقة السماء. وعبر حدود قمم السطوح شاهدت النهر وتموّجات الدخان الدافئ المتصاعد من مداخن زوارق القطر. شاحنة فضية هائلة تجرف الطريق المضفف بالثلوج، صوت «مكنتها» يطن في الأجواء.

Twitter: @ketab_n

بعد أن رتّبت الشقة، توجهت إلى البقال، صرفت شيكًا ثم قصدت مقهى قريبًا حيث تناولت طعام الإفطار وتبادلت حديثا مرحًا مع النادلة.

كم هو جميل هذا اليوم! كأيام العطل، وسيكون من الغباء العودة إلى المنزل. ركبت حافلة زقاق لكسنغتون متجهة إلى الشارع السادس والثمانين، حيث قررت التوقف للتبضع. لم تكن لديها أدنى فكرة عما تحتاج إلى شرائه، إلا أنها ظلت تتسكع منكبّة بتفكيرها على عابري الطريق، أولئك الذين أيقظ استعجالهم وانشغالهم لديها إحساسًا مريعًا بالاختلاف.

كانت تنتظر عند زاوية الجادة الثالثة حين شاهدت الرجل: رجل طاعن في السن، مقوّس القدمين، ومحدودب الظهر تحت وطأة حِمْل كتفه الثقيل من الرزم المنتفخة. يرتدي معطفًا بنيًّا رثًّا ويعتمر قبّعة ذات مربعات كمربعات رقعة الشطرنج. انتبهت حينئذ إلى أنهما تبادلا ابتسامة مقتضبة، لم تكن ابتسامة ودودة على الإطلاق، بل مجرد طرْفَتَيْ تعرُّف باردتين. لكنها كانت متيقنة بأنها لم تره مسبقًا. كان يقف بمحاذاة عمود كهربائي وفيما عبرت هي الطريق استدار وتبعها. ظل على مقربة منها، وبطرف عينها راحت ترقب انعكاس صورته يتراقص على زجاج واجهات المحال التجارية. توقّفت في منتصف ساحة المدينة وواجهته، توقّف بدوره ونصب رأسه نحوها متبسمًا. ولكن ماذا بوسعها أن تقول أو تفعل؟ هنا، في وضح النهار وفي منتصف الشارع السادس والثمانين؟! لا جدوى من ذلك، حثّت خطاها وهي تلعن عجزها.

كانت الجادة الثانية موحشة، وتبدو مرقّعة إذ اختلط فيها الحصى والأسفلت مع الإسمنت، ويغشاها شعور دائم بالهجران. تخطّت السيدة

Twitter: @ketab_n

ميلر خمس مبانٍ دون أن تلتقي أحدًا، طيلة هذه المدة ظلّت خشخشة وقع أقدامه على الثلج قريبة منها. حين اقتربت من أحد محلات الزهور كان الصوت مازال يرافقها. اندفعت مسرعة إلى قلب المحل وراقبت الرجل المسنّ يمضي مبتعدًا من خلال المدخل الزجاجي. لم يحول بصره نحوها ولم يحث سيره، إلا أنه أتى فعلاً معبرًا حين لمس قبعته بضربة خفيفة.

«هل قلتِ ست بيضاوات؟» سأل بائع الزهور.

«نعم»، أجابته «ست ورود بيضاء». من هناك قصدت متجرًا للأواني الزجاجية واختارت منه مزهرية من المفترض أن تحلّ مكان تلك التي كسرتها ميريام، رغم أن سعرها مبالغ فيه والمزهرية نفسها بدت لها كقطعة خزفيّة دارجة واعتيادية جدًا. إلا أنها قد ابتدأت سلسلة من المشتريات غير المبررة، وكأنّما وفْق خطّة مسبقة: خطة ليس لديها أدنى معرفة بها أو سيطرة عليها.

ابتاعت كيسًا من الكرز المُحلّى، وفي أحد المخابز دفعت أربعين سنتًا مقابل ست كعكات جوز. كان الطقس قد عاد لبرودته خلال الساعة المنصرمة. وكما تغشي الرطوبة العدسات، غشت غيوم الشتاء وجه الشمس وارتسمت في السماء ألوان غسق مبكر. امتزجت الرياح برذاذ نديّ، وبدت أصوات بعض الصبية ـ الذين صعدوا أكوام الثلج ليمرحوا ـ وحيدة وخالية من البهجة. سرعان ما بدأ نديـــف الثلج بالهطول، حين وصلت السيدة ميلر إلى المنزل كان الثلج يتساقط بغزارة بحيث يمحو آثار الأقدام فور تشكّلها.

صفّت الورود البيضاء بعناية في المزهريّة، وعرضت حبّات الكرز المُحلّى

Twitter: @ketab_n

على طبق من السيراميك. أمّا كعكات الجوز المذرور عليها السكّر فقد تُركت قريبة. تقافز الكناري على أرجوحته ونقر قضيب الحبوب.

في تمام الخامسة قرع جرس الباب، عرفت السيدة ميلر الطارق، لامست حاشية ردائها الأرض بينما عبرت أرضية غرفة المعيشة.

«أهذه أنت؟» صاحت بها

«طبيعي» أجابت ميريام. بدت الكلمة حادة عبر الصالة، «افتحي هذا الباب».

«ارحلي» هتفت السيدة ميلر.

«أسرعي من فضلك... فمعي طرد ثقيل».

«ارحلي»، قالت السيدة ميلر ثم عادت إلى غرفة المعيشة وأشعلت لفافة، وجلست تستمع بهدوء إلى جرس الباب يطن مرة بعد أخرى.

«يجدر بك الرحيل، فليست لدي نية للسماح لك بالدخول».

بعد لحظات توقّف الجرس، لقرابة عشر دقائق لازمت السيدة ميلر فيها مكانها.

حين لم تسمع لميريام صوتًا، استنتجت أنها قد غادرت بالفعل. تحرّكت نحو الباب على أطراف أصابعها ثم فتحته بحذر، ميريام كانت نصف مستلقية فوق صندوق كرتونيّ، محتضنة دمية فرنسيّة جميلة بين ذراعيها.

«حقًا، ظننتك لن تأتي أبدًا». قالتها بلهجة مشاكسة «خذي، ساعديني في إدخال هذا الصندوق، إنّه ثقيل للغاية».

لم يكن إكراه المسحور ذلك الذي شعرت به السيدة ميلر، بل ربما سلبية

Twitter: @ketab_n

الفضولي، أدخلت الصندوق وأدخلت ميريام دميتها.

تكوّرت ميريام على الأريكة، دون أن تتكبد عناء خلع معطفها أو القلنسوة، وأخذت تطالع السيدة ميلر دون اكتراث، بينما أسقطت الأخيرة حِمْلها ووقفتْ ترتجف مُحاولةً التقاط أنفاسها.

«أشكرك» قالت ميريام التي بدت في وضح النهار أقل شحوبًا كما بدا شعرها أقل لمعانًا. كان للدمية الفرنسية التي تحتضنها ميريام شَعرًا مستعارًا بغاية الأناقة، وبدت عيناها الزجاجيتان تلتمسان العزاء بالتحديق إلى عينيّ ميريام.

«عندي لك مفاجأة» تابعت ميريام «ألقي نظرة داخل الصندوق».

ركعت السيدة ميلر لتباعد مصراعي الصندوق. التقطت دمية أخرى ثم فستانًا أزرق، استرجعت، إنه الفستان الذي كانت ترتديه ميريام حين قابلتها للمرة الأولى في المسرح، عقبّت ملقية نظرة على ما تبقى:

«إنه مكتنز بالثياب. لمَ؟»

«لأنني جئت للعيش معك» قالت ميريام وهي تفتل عنق حبة كرز، «كم هو لطيف منك أن تبتاعي الكرز من أجلي..!»

«لا يمكنك ذلك، ارحلي، بحق الرب ارحلي واتركيني وشأني!»

«.. والورود، وكعك الجوز؟ يا له من سخاء! تعلمين، هذا الكرز لذيذ حقًا. آخر مكان قطنته كنت بصحبة رجل طاعن في السن، كان فقيرًا معدمًا، ولم نكن نجد شيئًا طيّبًا لنأكله، أظنني سأسرّ بالعيش هنا».

صمتت برهة لتضم دميتها بحرارة إلى صدرها.

Twitter: @ketab_n

«والآن، حبذا لو تخبريني أين بإمكاني وضع أشيائي».

تحوّل وجه السيدة ميلر إلى قناع من خطوط حمراء قبيحة، وانفجرت باكية، بنواح غير طبيعي ودونما دموع، وكأن عدم بكائها لفترة طويلة قد أنساها كيف يكون النواح. تقهقرت إلى الخلف بحذر حتى لامست الباب.

اندفعت تتعثر عبر الممر، نزولا بالسلم، وأخذت تضرب بقبضتها باب أول شقة صادفتها. خرج إليها رجل قصير القامة، أحمر الشعر فما كان منها إلا أن اندفعت تجتازه إلى الداخل.

«ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟» هتف بها

«هل من خطبٍ ما، حبيبي؟» سألت امرأة شابة خرجت لتوها من المطبخ وهي تجفف يديها بمنشفه. وإليها لجأت السيدة ميلر..

«اسمعي، إني خجلة من التصرف على هذا النحو، إنما.. حسنًا. أنا السيدة ميلر و أقطن الطابق العلوي و..».

ضغطت وجهها بكفيها «يبدو الأمر مريعًا جدًا».

ساقتها السيدة إلى أحد المقاعد بينما أخذ الرجل يخشخش قطع النقود في جيبه وهو يستحثها على المتابعه. «.. نعم ؟»

«أقطن الطابق العلوي، وهناك فتاة صغيرة ترتاد بيتي.. أظنني مرعوبة منها. ترفض الرحيل وليس باستطاعتي إرغامها، سوف ترتكب حماقة فظيعة. لقد سبق أن سرقت قطعة حليّ، لكنّها بصدد فعل أمر أسوأ.. أمر فظيع!».

«هل تربطك بها صلة قرابة؟»، سأل الرجل.

Twitter: @ketab_n

هزت السيدة ميلر رأسها «لا أعلم من تكون، تدعى ميريام، لكني لا أعلم على وجه الدقة من تكون».

«يجب أن تهدئي يا عزيزتي» واستها المرأه وهي تربّت على كتفها، «هاري سيتدبر أمر هذه الطفله. تحرك يا حبيبي».

واستدركت السيدة ميلر «ستجد الباب مفتوحًا، شقة 5 أ»

بعد خروج الرجل، أحضرت المرأة فوطة مبللة وأخذت ترطّب وجه السيدة ميلر.

«أنتم بمنتهى اللطف» قالت السيدة ميلر، «أعتذر عن تصرفي الأحمق، غير أن تلك الطفلة الشريرة..».

«بالطبع عزيزتي»، قالت المرأة مواسية إياها «هوني عليك الآن».

أرخت السيدة ميلر رأسها على ذراعها المعقوف، وبدت بهدوء النائم. أدارت المرأة المذياع فصدح صوت البيانو يصاحبه صوت أجشّ ليدحر السكون.

بدت المرأة مستمتعة وهي تنقر الأرض بقدمها «ربما نحن أيضًا يتوجب علينا الصعود!» اقترحت المرأة.

«لا أريد رؤيتها ثانيةً، لا أريد حتى الاقتراب منها».

«أتعلمين ما كان يتوجب عليك فعله؟ كان عليك إبلاغ البوليس».

تناهى وقع أقدام الرجل على الدرج، ولج إلى الغرفة عابسًا، وهو يحكّ مؤخرة عنقه «لا يوجد أحد» أضاف وهو محرج قليلاً «لابد أنها لاذت

Twitter: @ketab_n

بالفرار».

«هاري، أنت مغفل» أعلنت المرأة، «كنا جالستين هنا طيلة الوقت، وكنا سنراها».

سكتت المرأة فجأةً حين طالعها زوجها بنظرة حادة.

«بحثت في كل أرجاء المنزل» قال الرجل «وليس هنالك من أحد على الإطلاق، لا أحد.. تفهمين؟»

«أخبرني» سألت السيدة ميلر وهي تنهض، «أخبرني، هل رأيت صندوقًا كبيرًا؟ أو دمية؟»

«لا يا سيدتي، لم أر شيئًا من هذا القبيل».

قالت المرأه وكأنها تعلن حكمًا «بعد كل هذا النحيب..!»

دخلت السيدة ميلر شقتها بخطوات متثاقلة إلى أن توقفت في قلب الغرفة بلا حراك، كلا، من ناحية ما، فإن الغرفة لم تتغير: الورود، الكعك، وحبّات الكرز. كل شيء كان في مكانه، لكنّ الغرفة بدت لها خالية، وأكثر خواءً مما ستكون عليه لو لم يكن الأثاث موجودًا.. متحجرة وبلا حياة كقاعة جنائزية.

لاحت لها الأريكة غريبةً ، فذلك الفراغ الذي يكتنفها يبدو أشد بشاعة مما لو كانت ميريام مستلقية عليها. حدقت إلى الفراغ حيث كانت تتذكر أنها قد وضعت الصندوق، ثم نظرت من خلال النافذة، كان النهرحقيقيًا بالتأكيد، والثلج كان يتساقط بالتأكيد، إنما ليس بوسع المرء أن يكون متأكدًا من شهادته على أي شيء: ميريام ـ بكل حضورها الحي ـ كانت هنا، لكن أين اختفت؟ أين، أين؟

Twitter: @ketab_n

غاصت في مقعدها وكأنها تغوص في حلم، تداعت الغرفة وفقدت شكلها، والظلام أصبح أشد حلكةً، ولم يكن باستطاعتها فعل أي شيء حياله، لم تستطع حتى رفع يدها لإضاءة مصباح.

فجأة، حين أغمضت عينيها شعرت بجيشان متصاعد، كغوّاص يخرج من أعماقٍ أكثر دنوًّا واخضرارًا. في أوقات الهلع أو الكآبة القصوى، تكون هنالك لحظات يتأهب فيها الذهن، وكأنه في انتظار التجلّي، بينما تحاك شبكة من السكون على الفكر. هي كالغفوة، أو النشوة الفوق طبيعية، وأثناء هذه الهدأة يعي الشخص قوته على إدراك الأمور: إذن، ماذا لو أنها لم تعرف حقًا فتاة تدعى ميريام؟ وأنها ذعرت بحماقة في الشارع؟ في النهاية، كمثل كل شيء آخر.. لم يكن ذلك ذا أهمية. إذ إن الشيء الوحيد الذي سلبتها إياه ميريام هو..هُويتها. لكنها الآن أدركت أنها وجدت الإنسانة التي كانت تقطن هذه الغرفة من جديد، الإنسانة التي كانت تطهو وجباتها بنفسها، التي تمتلك كناري، والتي كانت شخصًا يمكنها الوثوق فيه والإيمان به: السيدة ميلر.

مُصغية في طمأنينة، استرعى انتباهها صوت مزدوج: أحد أدراج الخزانة يُفتح ويُغلق، ما أن ينتهي حتى يعاود الفتح والانغلاق مجددًا. تدريجيًا اختفت خشونة الصوت وحلّ مكانها حفيف فستان حريري، هذا الحفيف الخافت المرهف أخذ يقترب ويتضخم في حدة حتى ارتجت الحيطان بذبذباته، وقبعت الغرفة تحت موجة من الهمس. تصلّبت السيدة ميلر و فتحت عينيها على نظرات باهتة تحدق إليها :

«مرحبا»، قالت ميريام.

Twitter: @ketab_n

Rudyard Kipling

روديارد كبلنغ

جوزيف روديارد كبلنغ هو أول كاتب إنجليزي حصد جائزة نوبل، ولا يزال حتى الآن أصغر من تلقاها سنًا. ولد في الثلاثين من ديسمبر عام 1865 في مدينة بومباي، وكانت الهند آنذاك ترزح تحت ظلال الاستعمار البريطاني. والدته تنحدر من أسرة عريقة النسب، أمّا والده فكان فنانًا وأستاذًا يدرّس فن النحت والعمارة في مدرسة كانت الأولى من نوعها في الهند «مدرسة السير جمستجي للفنون والصناعة».

وكما كانت تقتضي العادة، بأن يبعث المواطنون البريطانيون المقيمون في الهند أبناءهم إلى بريطانيا حيث تربيهم بعض الأسر وتأسّسهم لغويًا مقابل مكافآت ماليّة سخيّة. فقد انتهت أيام كبلنغ الجميلة في الهند حين بلغ السادسة من عمره، وأُرسل مع أخته «أليس» ذات الأعوام الثلاثة إلى بورتسموث ليقضي في كنف عائلة «هولوي» ستـــة أعوام

Twitter: @ketab_n

تحدث عنها فيما بعد حين كتب سيرة حياته واصفًا إياها بأنها عذابٌ محسوب، ورعب دفعه للإيمان بضرورة الكذب. ولم يلطف من وقع هذه المأساة سوى الشهر الذي كانا يقضيانه إبّان موسم أعياد الميلاد في منزل خالتهم جورجي، الذي تحدث عنه كبلنغ قائلاً: «أنا مؤمن بأنه الفردوس الذي أنقذني».

كان الفرج بالنسبة لكيبلنغ عام 1877، حين عادت والدته من الهند ونقلت طفليها للعيش معها. بعدئذ كثيرًا ما عاتبته خالته جورجي على عدم إفشاء سر المعاملة السيّئة التي كان يتلقاها على يد السيدة هولوي. يقول كبلنغ: «لا يزيد بوح الأطفال عن بوح البهائم إلا باليسير، فهم يتقبلون ما يحلّ بهم وكأنّه قدر خالد، وهم أيضًا مدركون تمام الإدراك لما يمكن أن يلاقوه، في حال أفشوا «سر منزل يسجنون به قبل أن يتمكنوا من مغادرته كليًا».

التحق روديارد عام 1878 بكليّة الخدمات المتحدة، وهي كلية تهدف إلى إعداد الفتية للانخراط في صفوف القوات المسلّحة. ورغم المصاعب التي واجهته في البدء، إلا أنه خرج منها بصداقات متينة. كما أنه تعرف في هذه الفترة إلى فلورنس جيرارد (وكانت إحدى صديقات شقيقته) ومنها استمد كبلنغ الإلهام لشخصية ميزي، بطلة روايته الأولى «الضوء الذي أخفق».

حين لم يتمكن كبلنغ من الحصول على بعثة دراسية للالتحاق بجامعة أكسفورد، ونظرًا لعدم تمكّن والديه من دعم دراسته الجامعية ماديًا، فلم يجد والده بدًا من تدبير وظيفة له لكي يرتزق منها. وهكذا سافر كبلنغ إلى لاهور (باكستان حاليًا) للّحاق بوالده الذي كان يعمل

Twitter: @ketab_n

آنذاك مديراً لكلية مايو للفنون وأميناً على متحف لاهور. وهناك عمل مساعد محرر في صحيفة محليّة متواضعة كان يطلق عليها «الخليلة» حيث انفتحت له سماء الكتابة على صفحاتها بدءًا بالمقالات وانتهاءً بما يقرب من أربعين قصة قصيرة.

بعد أن بلغ الثانية والعشرين انتقل كيبلنغ إلى «أحمد أباد» ليعمل في فرع أكبر لنفس الصحيفة، وهناك أصدر حوالي ست مجموعات قصصية. باع حقوقها بثمن بخس ليتمكن من السفر إلى لندن «مركز الكون الأدبي للامبراطورية البريطانية الممتدة». وتم له ذلك في مارس 1889 حيث غادر الهند في رحلة مرّ خلالها بسان فرانسيسكو، ومن هناك زار الكثير من الولايات والمعالم السياحية، كما التقى في نيويورك بالكاتب الأمريكي المعروف مارك توين.

استقر كبلنغ في لندن في نهاية العام 1889 ، حيث تعرّف إلى كاتب وناشر أمريكي «وولكوت بيلستير» ونشأت بينهما صداقة حميمة كان من ثمارها أن تزوّج كبلنغ من أخت وولكوت (كارولين) بعد ثلاثة أعوام انطلق العروسان في رحلة شهر عسل إلى أمريكا. إلا أن الظروف شاءت لهما أن يستقرا هناك لبضعة أعوام بعد أن تعرض المصرف الذي كان يدّخر فيه كبلنغ أمواله إلى الخسارة. استأجر كبلنغ كوخًا متواضعًا شهد ولادة طفلهما الأول، كما شهد ولادة قصة الفتى موغلي الشهيرة بـ «كتاب الأدغال».

كان من جراء حدثين مهمين أن قرر كبلنغ العودة إلى انجلترا، أولهما تصاعد الحدة السياسية بين إنجلترا وأمريكا وما تبعها من مناهضة الصحافة الأمريكية للكُتّاب البريطانيين، ثم حادثة تهديده بالسلاح من قبـــل شقيق

Twitter: @ketab_n

زوجته الذي كان على خلاف مع أخته في الأساس. وقد انزعج كبلنغ كثيراً من مناقشة الصحف لتفاصيل هذه الأزمة والمحاكمات التي تبعتها، ما أفقده شعوره بالخصوصية.

عاد كبلنغ إلى ديفون، إنجلترا في عام 1896 وقد أصبح شخصية معروفة، خاصة بعد أن بدأ تضمين آرائه السياسية في كتاباته التي كانت ومازالت محط جدل كبير وتناقض في بعض الأحيان، وهذا ما حدث حين نشر قصيدة «عبء الرجل الأبيض». كما تزامن ذلك مع نشره مجموعة «قصص مدرسية» التي استوحاها من أيامه في المدرسة العسكرية.

بدءًا بالعام 1898 وحتى 1908 بدأ كبلنغ تقليداً دأب عليه وهو قضاء الصيف في جنوب إفريقيا. حيث استقبل بحفاوة من قبل القادة السياسيين في المستعمرة، كونه شاعر الامبراطورية. وقد جعله ذلك ينخرط في كتابة مقالات تدعم القوات الانجليزية في الحرب التي اندلعت أيامها في جنوب إفريقيا وهي «حرب البوير الثانية». كما ساهم في إنشاء صحيفة سياسية في جنوب إفريقيا «الصديق» لمساندة الجيوش البريطانية.

استمر كبلنغ بالكتابه حتى عام 1930 ولكن برتابة ونجاح أقل عن ذي قبل. وفارق الحياة عام 1936 إثر نزيف في الاثنى عشر، وقد أُحرق جثمانه ودُفن رفاته في كاتدرائية ويستمنستر التي تضم رفات عظماء البريطانيين من أدباء وفلاسفة وسياسيين.

Twitter: @ketab_n

كيف كُتبت الرسالة الأولى

يحكى أنه في أول الزمان عاش رجل كهف من العصر الحجري الحديث، لم يكن جوتيًا * أو آنجلزيًا** أو حتى درافديانيًا***. وربما كان كذلك، أيها الأحباء، إنما لا تلقوا بالاً لهذا. كان بدائيًا، بعيش حياة بسيطة في كهف، ويرتدي النزر من الثياب. لم يكن يُحسن القراءة أو الكتابة، ولم يرغب في ذلك. وباستثناء أوقات الجوع فقد كان سعيدًا بحياته هذه. كان يدعى «تيغوماي بوبسولاي» ، وهو يعني «الرجل الذي لا يحرك قدميه

---

*الجوتي أحد أفراد قبيلة جرمانية غزت بريطانيا من القارة الأوروبية في القرن الخامس للميلاد.

**الآنجلز شعب جرماني غزا بريطانيا مع الجوت والسكسون في القرن الخامس للميلاد، ومن اسمهم اشتقت لفظة «الإنكليز».

***تطلق على الذين يتحدثون إحدى اللغات الدرافديانية وهم عادة يقطنون جنوب الهند، سريلانكا، بنغلاديش، أو باكستان.

Twitter: @ketab_n

على عجل» لكننا ـ أيها الأحباء ـ سندعوه تيغوماي من باب الاختصار. وكانت له زوجة تدعى «تيشوماي تيوندراو» وذلك يعني «السيدة التي تسأل أسئلة كثيرة جدًا»، لكننا ـ أيها الأحباء ـ سوف ندعوها تيشوماي من باب الاختصار. أما ابنته الصغيرة فكانت تدعى «تافيماي ميتالوماي» وكان اسمها يعني «شخص صغير بلا تهذيب يجب أن يوبخ». إلا أنني سأكتفي بالإشارة إليها بتافي. كانت تافي قرّة عين أبيها وأمها. ولم تكن لتُوبّخ نصف التوبيخ الذي كان سيجعل منها فتاة صالحة. وهكذا فقد عاش الثلاثة في هناء وصفاء.

حالما تعلّمت تافي المشي بدأت ترافق تيغوماي أينما ذهب، فكانا لا يعودان إلى الكهف في بعض الأحيان، إلا بعد أن يتمكن الجوع منهما. حينها تنهرهما تيشوماي تيوندرا قائلة : «أين كنتما تتسكعان لترجعا بغاية القذاره هكذا؟ حقا يا تيغوماي، لست أفضل من صغيرتي تافي على الإطلاق!».

والآن اسمعوا وعوا..

ذات يوم، ذهب تيغوماي بوبسولاي عبر مستنقع القنادس إلى نهر واغاي، ليصطاد برمحه بعض أسماك الشبوط للعشاء، تافي رافقته في هذه الرحلة كالعادة. كان رمح تيغوماي مصنوعًا من عصًا خشبية ثبت في طرفها ضرس قرش حاد. وقبل أن يتمكنوا من اصطياد أي سمكة على الإطلاق انكسر الرمح عرضيًا حين وكز تيغوماي قاع النهر بقوة عن غير قصد. كانوا يبعدون أميالاً عن المنزل (بالطبع كانوا يحملون غداءهم معهم في حقيبة صغيرة). ولم يخطر لتيغوماي أن يحضر معه رمحًا إضافيًا.

Twitter: @ketab_n

«ياله من مأزق..!» قال تيغوماي «سوف أهدر نصف اليوم في إصلاح هذا الشيء».

«إن لديك رمحًا أسود كبيرًا في المنزل» قالت تافي «سوف أهرع راجعة إلى الكهف وأطلب من والدتي إعطاءه لي».

«إنها مسافة بعيدة جدًا على قدميك الممتلئتين الصغيرتين «قال تيغوماي «عدا عن أنك قد تقعين في مستنقع القنادس وتتعرضين للغرق. علينا أن نحرز أفضل ما يمكن من أسوأ الموجود».

جلس أرضًا، وأخرج حقيبة ترتيق جلدية ملأى بأطناب الرنة وشرائط جلدية وكتل من شمع النحل والراتينج. وبدأ في إصلاح رمحه. تافي جلست أرضًا أيضًا. مدلّية أصابع قدميها في الماء ومسندة ذقنها إلى راحة كفها، وأخذت تفكر مليًّا. ثم هتفت : «ألا تظن يا أبي أنه من الفظاعة أن أيّنا منا لايجيد الكتابة؟ لو كنا نستطيع الكتابة لأرسلنا رسالة في طلب الرمح».

«تافي.. !!» نهرها تيغوماي «ألم أنهك مرارًا وتكرارًا عن استخدام الألفاظ الدارجة؟ (فظاعة) ليست بالكلمة المستحبة. وعلى ذكر الكتابة.. أجل سيكون من الملائم لو كنا نستطيع مراسلة المنزل».

حينئذ ظهر رجلٌ غريب قرب النهر، كان ينتمي إلى قبيلة بعيدة عنهم، قبيلة التيوارا، ولم يكن يفقه كلمة واحدة من لغة تيغوماي. جلس على الضفة وابتسم لتافي، إذ كانت له طفلة في مثل عمرها تنتظره في المنزل. أمّا تيغوماي فقد استل من حقيبته حزمة من أطناب الظباء وانهمك في إصلاح رمحه.

« هلم إلى هنا» قالت تافي «هل تعرف أين تقطن أمي؟»

Twitter: @ketab_n

لم ينبس الرجل الغريب سوى بـ «اممم»، كونه تيواريًا، كما تعلمون.

« بغيض..!» صرخت تافي وهي تضرب بقدمها الأرض، حين شاهدت قطيعا من أسماك الشبوط الضخمة تعتلي صفحة النهر بينما لا يستطيع والدها استعمال رمحه.

«لا تزعجي الكبار» قال تيغوماي وهو منشغل بإصلاح رمحه لدرجة أنه لم يلتفت.

«لا أزعجه» قالت تافي «فقط أريده أن يفعل ما أريده أن يفعل، لكنه لا يفهم».

«إذن لا تزعجيني أنا» قال تيغوماي، ومضى يشد ويربط أطناب الظباء وفمه مكتنز بأطرافها السائبة.

الرجل الغريب ـ وقد كان تيواريًا أصيلاً ـ افترش العشب، فيما أخذت تافي تشرح له ما الذي يشغل والدها. فكّر الرجل الغريب: كم هي رائعة هذه الطفلة، إنها ترفس الأرض أمامي وتعبس في وجهي. لابد أنها ابنة ذلك الزعيم النبيل الذي لم يلحظني من فرط عظمته. ثم ابتسم بتأدب بالغ.

«والآن» قالت تافي «أريدك أن تذهب إلى أمي، لأن ساقيك أطول من ساقاي، ولن تقع في مستنقع القنادس، واطلب منها أن تسلّمك رمح أبي الآخر، ذلك ذو المقبض الأسود، المعلّق فوق المدفأة.» فكر الرجل الغريب (وهو من قبيلة التيوارا بالطبع) : «يالروعة هذه الطفلة، إنها تلوح بذراعيها، وتصرخ في وجهي، لكني لا أفقه كلمةً مما تقول، إلا أنني أخشى إن لم أفعل ما تريد أن أغضب ذلك الزعيم المتغطرس (الرجل الذي يدير

Twitter: @ketab_n

ظهره للقادمين)». نهض الرجل وكسر قطعة لحاء مسطّحة عن شجرة بتولا وسلمه لتافي. فعل ذلك ـ أيها الأحباب ـ لكي يوحي لتافي أن قلبه أبيض كلحاء شجر البتولا، وبأنه لا يضمر شرًا. إلا أن تافي لم تفهم مغزاه.

« آآآه» شهقت تافي «الآن فهمت، إنك تريد معرفة عنوان أمي ؟ أنا لا أستطيع الكتابة بالطبع، لكن يمكنني أن أرسم لك صورًا في حال وجدت شيئًا حادًا أخربش به. هلا أعرتني ضرس القرش الذي تتقلده؟»

الرجل الغريب (وقد كان تيواريًا) لم ينبس ببنت شفة. وهكذا فقد مدت تافي يدها ونزعت القلادة الجميلة المصنوعة من الخرز والحبوب وضرس القرش التي كانت تلف عنقه.

هذه المرة، فكر الرجل الغريب (وهو من قبيلة التيوارا) بأن هذه الطفلة هي حقًا جدُّ رائعة، إن ضرس القرش الذي أتقلده سحري، ولطالما أُخبرت بأن من يمسه دون إذني سوف ينتفخ وينفجر، بينما لم تنتفخ هذه الطفلة أو تنفجر، وذلك الزعيم المهيب: الرجل المنهمك تمامًا في عمله، الذي لم يلحظ وجودي مطلقًا حتى الآن لا يبدو أنه خائف عليها أيضًا. يجدر بي أن أكون أكثر تهذيبا معها.

لذا فقد سلمها ضرس القرش، فانبطحت أرضًا على بطنها وأخذت تطوح بقدميها في الهواء، كما يفعل البعض على أرضية غرف الرسم حين يهمّون برسم الصور، وخاطبته قائلة:

«سأرسم لك صورًا جميلة! بإمكانك النظر من فوق كتفي ولكن إياك أن تهتز. أولاً سأرسم والدي وهو يصطاد، لا يشبهه كثيرًا، لكن أمي ستفهم

Twitter: @ketab_n

لأنني رسمت رمحه مكسورًا. حسنًا.. والآن سأرسم الرمح الآخر الذي يريده، الرمح ذا المقبض الأسود. يبدو كأنه يخترق ظهر أبي لكن ذلك لأن ضرس القرش أفلت من قبضتي ولأن قطعة اللحاء هذه ليست كبيرةً كفاية. ذلك هو الرمح الذي أريد منك إحضاره. سأرسم أيضًا صورة نفسي وأنا أشرح لك. في الحقيقة شعري ليس واقفًا كما في الصورة، لكن من الأسهل رسمه بهذه الطريقة. والآن سأرسمك، أعتقد أنك حقًا لطيف، لكن ليس بإمكاني أن أجعلك جميلاً في الصورة. لذا يجب ألا تستاء. هل أنت مستاء؟»

ابتسم الرجل الغريب، (وقد كان تيواريًا) وحدث نفسه «لا بد أن هنالك معركة ستندلع في مكان ما، وهذه الطفلة فوق الاعتيادية، التي نزعت قلادتي السحرية دون أن تنتفخ أو تتفجر، تطلب مني إحضار قبيلة هذا الزعيم العظيم بأكملها لمساعدته. لابد أنه زعيم عظيم وإلا لكان انتبه لوجودي.»

«انظر» قالت تافي وهي ترسم بصعوبة أو بالأحرى تنقش على قطعة اللحاء «لقد انتهيت من رسمك، وجعلتك ممسكًا بالرمح الذي يريده والدي، فقط لأذكّرك بأن عليك إحضاره. والآن سأريك كيف تجد محلّ إقامة أمي. تذهب بهذا الاتجاه إلى أن تصل إلى شجرتين (هاتان شجرتان) ثم تصعد تلة، (تلك هي التلة) بعدئذ ستصل إلى مستنقع القنادس، وهو مليء بالقنادس، لم أرسمها كلها لأنني لا أستطيع رسم القنادس، على كل حال رسمت رؤوسها وهذا كل ما ستراه منها عند عبورك المستنقع. حاذر من الوقوع فيه! إن كهفنا بعد المستنقع مباشرة. هو في الحقيقة ليس بارتفاع التلال، لكني لا أجيد رسم الأشياء بهذا الصغر. وهذه أمي خارج

Twitter: @ketab_n

الكهف، إنها جميلة، بل هي أجمل أم وجدت على الإطلاق. وهي لن تنزعج لأنني رسمتها شاحبة هكذا بل ستسرّ لأنني أستطيع الرسم. والآن كي لا تنسى، فقد رسمتُ الرمح الذي يريده والدي خارج كهفنا، هو في الحقيقة بالداخل، لكن ما عليك إلا أن تريها الصورة، وهي ستعطيه لك. رسمتها رافعة ذراعيها لأني أعلم كم ستكون مسرورة برؤيتك. أليست صورة جميلة؟ هل فهمت ما قلته لك أم يجب أن أشرح مجددًا؟

نظر الرجل الغريب (التيواري) إلى الصورة وأومأ بشدة. وحدث نفسه قائلاً : «إن لم أسرع في طلب قبيلة هذا الزعيم ليهبوا لمساعدته، فسوف يلاقي مصرعه برماح أعدائه الذين سيتدفقون من كل حدْب وصوْب، الآن فقط عرفت لم تظاهر الزعيم العظيم بأنه لم يلحظني! خشى أن يكون أعداؤه مختبئين في الأحراش وربما تمكنوا من رؤيته، لذا فقد أدار لي ظهره وترك هذه الطفلة الرائعة الحكيمة ترسم تلك الصورة الرهيبة لتوضح المأزق الذي هو فيه. سوف أذهب لإحضار من ينجده من قبيلته.»

انطلق الرجل مسرعًا كالرياح بين الأحراش ممسكًا بكسرة اللحاء، دون حتى أن يسأل تافي عن الطريق، فيما جلست هي وعلامات الرضا بادية على محياها.

هذه هي الصورة التي رسمتها تافي من أجله!

«ماذا كنت تفعلين يا تافي؟» سأل تيغوماي، كان قد أصلح رمحه وجعل يطوح به بحذر للأمام والخلف.

«ذلك هو سري الصغير يا والدي العزيز» قالت تافي ، «إذا توقفت عن

Twitter: @ketab_n

طرح الأسئلة سوف تعرف كل شيء خلال مدة وجيزة. وسوف تتفاجأ، لا تتخيل كم سيفاجئك الأمر! أعدك بأنه سيفاجئك».

«حسن جدًا» تمتم تاغوماي وتابع الصيد.

أما الرجل الغريب ـ أو تعلمون أنه تيواري؟! ـ فقد هرع مبتعدًا بالصورة راكضًا بضعة أميال، إلى أن التقى مصادفة بتيشوماي تيوندراو الواقفة عند مدخل كهفها تتحدث إلى بعض النسوة البدائيات اللاتي قدمن لتناول غداءٍ بدائيّ. ولأن تافي شديدة الشبه بوالدتها خاصة في الجزء العلوي من الوجه فقد ابتسم الغريب ـ التيواري المعدن ـ بكل تهذيب وسلم تيشوماي كسرة اللحاء. كان لا يزال يلهث من جراء الركض وقد جُرحت ساقاه من نبات العليق، إلا أنه حاول جهده أن يكون مهذبًا.

بمجرد أن شاهدت تيشوماي الصورة، ندت عنها صرخة مستهجنة انقضت بعدها على الغريب. وعلى الفور طرحته النسوة البدائيات أرضًا وجلسن فوقه في صف طويل مكوّن من ست سيدات، فيما راحت تيشوماي تشد شعره.

«إن الأمر واضح وضوح الشمس» صاحت تيشوماي، «لقد أبلى هذا الرجل جسد زوجي تيغوماي خزقًا برماحه وأرعب صغيرتي تافي لدرجة أن أوقف شعر رأسها، ولم يكتف بما اقترفه، بل أحضر لي هذه الصورة المخيفة ليوضح لي كيف ارتكب فعلته.. انظرن!» وأرت الصورة للنسوة البدائيات الجالسات برويّة فوق الرجل الغريب، «ها هي ذراع عزيزي تيغوماي المكسورة، وها هو رمح ينفذ في ظهره، ها هو رجل على وشك

Twitter: @ketab_n

أن يصوّب رمحه، وها هو آخر يصوب رماحه من الكهف، وهذا رهط من الرجال في أعقاب تيغوماي (كان أولئك في الواقع قنادس تافي إلا أنهم بدوا في الصورة كجمع من الرجال) ألا يبدو هذا مريعًا؟»

«مريع جدًا» هتفت النسوة البدائيات. وطمرن شعره بالطين (ما أثار استغرابه) ثم قرعن طبول القبيلة المدويّة، واستدعين جميع زعماء قبيلة تيغوماي من قوزاق ونجاشيين وأخوندات، إضافة إلى المشعوذين وسحرة الجوجو والكهنة والرهبان والنسّاك، وهلم جرًا ممن عقدوا العزم على ألا يقطعوا عنقه حتى يقودهم في الحال إلى النهر ويدلّهم على المكان الذي خبّأ فيه تافي الصغيرة.

في هذه الأثناء، كان الرجل الغريب (على الرغم من كونه تيواريًا) مستاءً جدًا. فقد ملؤوا شعره كلّه بالطمي، ودحرجوه يمنة ويسرة على الحصى المدبب، واصطفت على قفاه ست سيدات، ثم أوسعوه ضربًا ولطمًا حتى شق عليه التنفس. ومع أنه لا يفقه لسانهم إلا أنه كان واثقًا من أنّ النسوة البدائيات كن ينعتنه بألقاب غير حميدة. على كل حال، فهو لم يتكلم إلى أن احتشد كل أفراد قبيلة تيغوماي وتبعوه إلى ضفة نهر واغاي، وهناك وجدوا تافي منهمكة في صنع عقود أزهار الربيع، بينما كان تيغوماي يسدّد رمحه المرتق نحو سمكة شبّوط صغيرة.

«جيد، لقد كنت سريعًا» قالت تافي، «لكن لمَ أحضرت معك كل هؤلاء؟ والدي العزيز، هذه هي مفاجأتي، هل أنت متفاجيء يا أبي؟»

«جدًا» هتف تيغوماي، «لدرجة أفسدت معها صيدي لكامل اليوم، هلا

Twitter: @ketab_n

أخبرتني يا تافي لِمَ القبيلة العزيزة اللطيفة الوديعة برمتها هنا؟!».

وهكذا كانوا، في الطليعة مشت تيشوماي تندراو وحولها النسوة البدائيات وقد أحكمن القبضة على الرجل الغريب الذي طُمس شعره بالطين (على الرغم من كونه تيواريًا)، خلفهن مشى زعيم القبيلة ونائبه وممثل الزعيم ومساعده (كل منهم على أهبة التسلح) تلاهم الزعماء القوزاقيون مع مئات الرؤوس، وزعماء الفصائل، وقد اصطفت فصائلهم في الخلف على أهبة التسلح أيضًا. تبعتهم البقية الباقية من القبيلة مرتبين حسب سلطتهم، بدءًا بملاّك أربعة كهوف (كهف خاص لكل موسم)، ومرتعًا خاصًا للأيائل، وحوضين للسلمون، وانتهاءً بفلاحي الإقطاعيين ذوي الفكوك البارزة، شبه المخوّلين بالحصول على نصف فراء دب لليالي الشتاء، على مقربة سبع ياردات من النار. وعبيد الأرض الذين يحملون عظام نخاع مكشوطة يتوجب عليهم إعادتها لملاّكها، (أليست هذه كلمات جميلة أيها الأحباب؟) احتشد الجميع، يهتفون ويتواثبون، حتى أرعبوا كل سمكة على مسيرة عشرين ميلاً، وانبرت تيشوماي لتشكرهم بخطبة بدائية عصماء. اندفعت بعدئذ نحو تافي توسعها عناقًا وقبلاً، إلا أن زعيم قبيلة تيغوماي الأكبر أمسك بتيغوماي من عقده الريشي وأخذ يهزه بقوة.

«فسّر..فسّر.. فسّر.». هتف أفراد القبيلة

«حبًا بالرب، دع عقدي وشأنه» تذمر تيغوماي، «ألا يمكن لرجل أن يكسر رمح صيده دون أن ينهال عليه كل أهل الريف. يالكم من قوم تهوون دس أنوفكم في شؤون الغير!»

Twitter: @ketab_n

«لا أصدق أنكم أحضرتم رمح أبي ذا المقبض الأسود في النهاية!» صاحت تافي «وما الذي تفعلونه بصديقي الغريب اللطيف؟».

كانوا يلطمونه بالاثنين والثلاث والعشر إلى أنْ تدور مقلتاه في محجريهما فلا يعود قادرًا إلا على اللهاث والإشارة إلى تافي.

«أين هم الأشرار الذين طعنوك بحرابهم يا حبيبي ؟» سألت تيشوماي تيوندراو.

«لا وجود لهم» أجاب تيغوماي، «كان هذا الرجل المسكين الذي أنتم بصدد خنقه هنا، زائري الوحيد منذ الصباح. ألستم على ما يرام يا معشر قبيلة تيغوماي، أم أن سوءًا حل بكم ؟!»

«لقد جاءنا بصورة مرعبة. صورتك وقد مزقت جسدك الحراب».

«أمم.. ربما..أظن.. يجدر بي أن أشرح أنني من أعطاه الصورة». قالت تافي وقد بدت مرتبكة.

«أنت؟!» هتفت القبيلة بصوت واحد

«شخص صغير بلا تهذيب يجب أن يوبخ».. أنت ؟!

«صغيرتي تافي أخشى أننا في ورطة» نطق تيغوماي هذه الكلمات وهو يحيطها بذراعه ليهدّئ من روعها.

«فسّرا.. فسّرا...فسّرا»، قال زعيم القبيلة وهو يثب على قدم واحدة.

«كل ما أردته هو أن يحضر الرجل الغريب رمح أبي، فرسمته له.» تمتمت تافي ، «لم يكن هناك العديد من الرماح، بل واحد فقط. وقد رسمته ثلاث مرات للتأكيد. لم أقصد جعله يبدو وكأنه يخترق رأس والدي، بيد أنه لا

Twitter: @ketab_n

يوجد متّسع على كسرة اللّحاء تلك. وأولئك الذين نعتتهم أمي بالأشرار هم قنادسي. رسمتهم لكي أرشده إلى طريق المستنقع، ورسمت ماما تقف مبتهجة عند مدخل الكهف لأنه غريبٌ طيب. وأظن أنكم أغبى قوم في العالم» قالت تافي «إنه رجل طيب جدًا، لم لطّختم شعره بالطين؟ نظفوه!»

ران الصمت على الجمع لمدة غير وجيزة، إلى أن انفجر زعيم القبيلة ضاحكًا، ثم ضحك الرجل الغريب (فهو على الأقل تيواري) بعدئذ أفلت تيغوماي ضحكة رنانة ألقته منبطحًا على ضفة النهر. تلاه أفراد القبيلة تباعًا، إذ ضحكوا أكثر وأشد منه. الوحيدات اللاتي لم يضحكن كن تيشوماي تيوندراو ورفيقاتها البدائيات، وقد حاولن البقاء مهذّبات مع أزواجهن إلا أنهن لم يفتأن يردن «أحمق!»

صاح زعيم القبيلة منشدًا «بخ.. بخ يا أيها الشخص الصغير بلا تهذيب يامن يجب أن يوبّخ».

لقد أمطت لثوك اللثام عن اختراع عظيم.!

«لم أتعمد القيام بهذا، كل ما أردته هو رمح بابا ذو المقبض الأسود» قالت تافي.

«لا عليك، إنه اختراع عظيم، وسيدعوه الناس «كتابة» في يوم ما. في الوقت الحاضر هي مجرد صور، وكما رأينا اليوم، فإنّ الصور لا تفسر دومًا كما يجب. لكن الوقت سيحين، أي بُنية تيغوماي، حين نخترع حروفًا، ستة وعشرين حرفًا، ويومئذ سنحسن القراءة كما نحسن الكتابة. حينئذ سنستطيع قول ما نعنيه بالضبط دون أية أخطاء. هيا.. فلتنظف النسوة

Twitter: @ketab_n

البدائيات شعر الرجل الغريب.

«سيسرني ذلك» هتفت تافي ، «فرغم كونكم أحضرتم كل رمح تمتلكه قبيلة تيغوماي، إلا أنكم نسيتم إحضار رمح أبي ذا المقبض الأسود».

حينذاك صاح زعيم القبيلة منشدًا: «عزيزتي تافي، عندما تكتبين رسالة مصوّرة في المرة القادمة، احرصي على إرسالها مع شخص يتحدث لساننا ليشرح لنا مغزاها. أنا شخصيًا غير ممتعض لأنني زعيم القوم، إلا أن بقية أفراد قبيلة تيغوماي مستاؤون جدًا، وكما ترين فالغريب مُروّع!».

لاحقًا ضمّت قبيلة تيغوماي الغريب إليها (رغم كونه تيواريا أبًا عن جد) ذلك لأنه مهذب ولم يتذمّر من النسوة البدائيات اللائي ردمن شعره بالطين، لكن منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا (وإن لم يخب ظنّي فالذنب ذنب تافي) باتت قلّة قليلة من الفتيات الصغيرات تهوى القراءة والكتابة. أغلبهن يفضلن رسم الصور والتسكع مع آبائهن، كما هو حال تافي.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حكيم الهند: طاغور

رابندراناث طاغور هو الإبن الأصغر لدبندراناث طاغور، زعيم طائفة البراهمو ساماج وقد كانت أهم طائفة دينية جديدة في ولاية البنغال في القرن التاسع عشر. تلقّى تعليمه في المنزل، على يد والده ومدرس شخصي كان يعدّ من نخبة مثقفي بنغلاديش. وعلى الرغم من ابتعاثه إلى إنجلترا في سن السابعة عشر لاستكمال تعليمه الرسمي، إلاّ أنه عاد إلى وطنه بعد أعوام قليلة دون أن يكمل دراسته. كانت له الكثير من النشاطات الأدبية في سن النضج إلى جانب مهمته الرئيسة في إدارة ممتلكات العائلة، الأمر الذي جعله على اتصال وثيق مع النواحي الإنسانية المشتركة بينه وبين طبقة العمال الفقيرة، وزاد من اهتمامه بالإصلاحات الاجتماعية، فبدأ بإنشاء مدرسة تجريبية.

كان يشارك أحيانا في الحركة الوطنية الهندية، ولكن على طريقته الخاصة ذات الرؤية البعيدة والمنفصلة عن العاطفة.

Twitter: @ketab_n

منح وسام الفارس عام 1915 من قبل الحكومة البريطانية، لكنه خلعه بعد عدة أعوام احتجاجًا على المذبحة البريطانية في حق المتظاهرين الهنود.

حظي طاغور في موطنه البنغال بشهرة مبكرة ككاتب، غير أن هذه الشهرة ما لبثت أن أصبحت عالمية حين سافر إلى إنجلترا بصحبة ولده، وهناك علم أحد أصدقائه بأنه ترجم بعض قصائده إلى اللغة الإنجليزية أثناء رحلتهم البحرية الطويلة، فأصرّ على الاطلاع عليها ونُشرت بفضله، ليصل صيت طاغور إلى أوْجه، ويبدأ جولاته الفكرية والصديقة بين القارات ممثلاً الصوت الروحي للهند، أمّا بالنسبة لمواطنيه فقد كان مؤسسة حيّة بحد ذاتها.

وبالرغم من أن طاغور قد كتب في كل جوانب الأدب، إلا أنه كان شاعرًا في المقام الأول، وله ما يربو على الخمسين ديوانًا. منها: المثالي، الزورق الذهبي، وحصاد الثمار. كما أنه كتب عدة مسرحيات منها: الملك والشلال، ومكتب البريد، وقد ألّف العديد من القصص القصيرة والروايات منها: رواية غورا، والبيت والعالم، هذا بالإضافة إلى المسرحيات الموسيقية والراقصة.

كتب طاغور سيرته الذاتية مرّتين: الأولى في منتصف عمره، والثانية قبل وفاته بأيام، وكتب أيضًا المقالات، ويوميات الأسفار، كما ترك خلفه لوحات ورسومات فنيّة إثر توجهه المتأخر للرسم في أعوامه الأخيرة، بالإضافة إلى أغان كتب كلماتها ووضع موسيقاها بنفسه.

Twitter: @ketab_n

باتيك شكراوارتي كان زعيمًا بين فتية الحي، عنّت له شيطنة جديدة، فثمة جذع خشب ثقيل ملقى على شاطئ النهر بانتظار تحويله إلى سارية مركب، اتخذ قراره بأن يعملوا معًا لزحزحته من مكانه قسرًا ودحرجته بعيدًا، ذلك كفيل بإغضاب مالك الجذع وإزعاجه، كما سينالهم الكثير من المتعة والمرح، أيّد الجميع المقترح وأجمعوا على تنفيذه!

وفيما المرح على وشك البدء نهض مكهان، الأخ الأصغر لباتيك، وجلس أمامهم على الجذع دون أن ينبس بكلمة.

لوهلة غرق الصبية في الحيرة، ثم دفعه أحدهم على استحياء مطالبًا إياه بالنهوض إلا أنّه تشبّث بمكانه غير عابئ بهم، وبدا كفيلسوف صغير يتأمل في جدوى مثل هذه الألعاب!

اسشتاط باتيك غضبًا:

Twitter: @ketab_n

ـ مكهان!!...(صاح به) «إنْ لم تنزل عن الجذع الآن فسألقي بك في القمامة !!

لم يفعل مكهان شيئًا سوى التحرك إلى موقع أكثر راحة على الجذع!

الآن أصبح من الواضح أنه يتوجب على باتيك تنفيذ وعيده، إذا ما أراد الاحتفاظ بكرامته كزعيم أمام الحاضرين، لكن شجاعته خذلته في هذه المحنة، وفي الحال استقر خياله الخصب على مناورة من شأنها أن تهزم أخاه وتوفّر لأتباعه مزيدًا من المتعة؛ إذ أعطى الأمر بدحرجة الجذع ومكهان معه، وبرغم سماع مكهان للأمر إلا أنه اعتبر ملازمته للجذع مسألة شرف متغاضيًا عمّا انطوت عليه من خطورة شأنه في ذلك شأن غيره ممن يسعون لمجد دنيوي في أمور أخرى.

همّ الصبية بدفع الجذع بكل ما أوتوا من قوة متصايحين : واحد، اثنان، ثلاثة، هيا. عند كلمة (هيا) تحرك الجذع ومعه فلسفة مكهان ومجده كله، وتعالت صرخات الصبية الآخرين جذلاً ، فيما أضمر باتيك خيفة في نفسه لعلمه بعاقبة ما حدث.

وبطبيعة الحال نهض مكهان عن الأرض يهدر بضراوة وقد أعماه الغضب، واندفع صوب شقيقه يخربش وجهه ويوسعه ضربًا وركلاً، ثم مضى إلى المنزل باكيًا.

وهكذا انطوى أول فصل درامي من فصول هذه المسرحية!

مسح باتيك وجهه وراح يمضغ عودًا وهو قابع على حافة زورق غائر في شاطئ النهر، عندما توقّف مركب في المرسى وهبط منه رجل في منتصف

Twitter: @ketab_n

العمر رمادي الشعر داكن الشارب، وقد لمح الصبي جالسًا لا يفعل شيئًا فسأله: أين يقطن آل شكروارتي؟

تابع باتيك مضغ عوده وقال:هناك.

إلا أنه من المستحيل الاستدلال على الجهة التي أشار إليها، فأعاد الغريب السؤال مجددًا، فردّ وهو يطوّح بقدميه على حافة الزورق جيئة وذهابًا:

ـ اذهب وجده بنفسك.

وعاد يلوك عوده كالسابق.

حينئذ وصل خادم من منزلهم وأخبر باتيك بأن والدته تطلبه، امتنع عن الحراك، لكن الخادم تسيد الموقف فرفع باتيك بصرامه حاملاً إياه برغم حَنَقه ومقاومته الواهنة.

عندما شاهدته أمه يدخل البيت صاحت به تؤنّبه :

ـ إذًا فقد عدت لضرب مكهان مجددًا ؟؟

رد باتيك بسخط: كلا، لم أفعل، من قال لك هذا؟

صرخت به والدته: لا تكذب.. لقد ضربته.

صاح باتيك : أقول لك لم أفعل، وأسألي مكهان نفسه.

فكّر مكهان بأن من الأفضل له أن يصر على ادعائه الأول، فقال : حقًا يا أمي، لقد ضربني باتيك.

نفد صبر باتيك ولم يعد يحتمل سماع ادعاء أخيه الجائر، فاندفع نحوه وراح يلكمه في رأسه وهو يصرخ: «خذ هذه، وهذه، وهذه، جزاء كذبك».

Twitter: @ketab_n

انحازت الأم إلى صف مكهان على الفور وأخذت تسحب باتيك مبعدة إياه وهي تضربه بكلتا يديها، وحين دفعها عنه صاحت به: «يالك من وغد، أتضرب أمك أيضًا ؟»

في تلك اللحظة الحاسمة بالذات دلف الغريب ذو الشعر الرمادي وتساءل عما يحصل، بدا باتيك مرتبكًا وخجلاً، وسرعان ما تحوّل غضب والدته إلى دهشة حالما وقع نظرها على ذلك الغريب، إذ عرفت أنه أخوها، فشهقت:

«أخي الحبيب..من أين جئت؟»، وما أنْ نطقت بتلك الكلمات حتى انحنت أرضًا لتلمس قدميه.

غادر أخوها المدينة عقب زواجها متوجّهًا صوب بومباي ليبدأ مشروعًا تجاريًا هناك، وهكذا لم يكن موجودًا حين ترمّلت شقيقته، وها هو بيشامبر يعود إلى كلكتا وأول ما فعل أن استعلم عن شقيقته ولم يتوان عن زيارتها حالما استدل على عنوانها. الأيام القليلة التالية امتلأت بهجة، تعرّف الأخ وضع الصبيّين التعليمي وتناهى إليه عبر شقيقته أن باتيك مصدر ازعاج دائم، فهو كسول وعاق ومتمرد، بينما يوزن شقيقه مكهان بالذهب، فهو هادئ كحمل وديع، ومولع بالقراءة، وإذ ذاك تلطّف بيشامبر وعرض على شقيقته أن يحمل عبء باتيك عن كاهلها ويصطحبه معه ليتعلم مع أولاده في كلكتا. وافقت الأم الأرملة عن طيب خاطر. وحين سُئل باتيك من قبل خاله إن كان يرغب في الذهاب إلى كلكتا برفقته فاقت فرحته الحدود كلها وأجاب من فوره: «بالطبع أرغب في ذلك يا خال»، قالها بطريقة من يعني ما يقول.

Twitter: @ketab_n

التخلص من باتيك يعد فرجًا عظيمًا للأم، إذ كانت متحاملة على الصبي، إضافة إلى انعدام المودّة بين الأخوين، وكانت تعيش رعبًا يوميًا من أنه قد يُغْرِق شقيقه الأصغر في النهر يومًا، أو يكسر عنقه في شجار، أو يعرّضه للخطر بطريقة أو بأخرى، في الوقت نفسه كان يؤلمها أن ترى لهفة ابنها الشديدة للرحيل!

ما إن سوّيت الأمور حتى صار باتيك لا يفتأ يسأل خاله كل هنيهة عن موعد مغادرتهما، وهو يتحرق شوقًا ولم يَغْمض له جفن معظم الليل، ووهب شقيقه بعض مقتنياته للأبد: سنارة الصيد، طائرته الورقية وكرات البلية. بالفعل إن كرم باتيك نحو مكهان قبيل مغادرته بلاحدود!

بعد وصولهم إلى كلكتا التقى باتيك زوجة خاله لأول مرة، ولم تكن هذه الإضافة غير الضرورية لعائلتها لترضيها على الإطلاق، فقد كان عبء أبنائها الثلاثة يرهقها بما فيه الكفاية من دون الحاجة إلى انضمام رابع إليهم، وأن تُلقي بفتى قروي ذي أربعة عشر ربيعًا في محيط كهذا لهو أمر مزعج للغاية، ومن المفترض أن يفكّر بيشامبر مليًا قبل أن يقترف حماقة كهذه!

في عالم العلاقات الإنسانية الذي نعيش، ليس ثمة أكثر ازعاجًا من صبي في الرابعة عشر من العمر، فلا هو حلية تزخرف بها الدار ولا متاع ينتفع به، ومن المستحيل أن تغدق عليه الحنان كما لو كان طفلاً صغيرًا، كان وجوده مصدر معاكسة دائم، فإن تلعثم في حديثه لُقّب بالطفل، وإن تحدّث كالكبار نُعت بالوقاحة، في الواقع أنّ أي حديث يتفوه به يبعث على الغيظ، وهو فوق ذلك في تلك المرحلة العمرية المقيتة من النمو، إنه يكبر على ثيابه بسرعة غير لائقة، وصوته أصبح أجش يتقطع ويرتعش، بينما صار وجهه فجأة

Twitter: @ketab_n

مزويًا وبشعًا، ومن السهولة بمكان أن تعذر عيوب الطفولة المبكرة، ولكن من الصعب جدًا أن تتحمل حتى الزلّات المتعذر تفاديها لصبي في الرابعة عشرة.

لقد أصبح الفتى منغلقًا على نفسه بشكل موجع، وحين يتحدّث مع الكبار فهو إمّا مفرط في الوقاحة أو مفرط في الحياء، بحيث يشعر بالخزي من مجرد وجوده في هذه الحياة.

إلا أنّه في هذه المرحلة بالذات يكون الفتى الغض توّاقًا في صميم قلبه إلى الحب والتميّز أكثر من أي وقت مضى، وقد يصبح عبدًا مخلصًا لأي شخص يوليه بعض المراعاة، ولكن لا أحد يجرؤ على التصريح بحبه له كون هذا الأمر يعتبر إفراطًا في تدليله، ولذلك فهو مضر بالفتى. إذًا، فمع هذا التوبيخ والتقريع كلّه يصبح الصبي كالكلب الذي ضل عن صاحبه.

البيت هو الفردوس الوحيد لصبي في الرابعة عشرة، والعيش في بيت غريب مليء بالغرباء لهو قطعة من العذاب، كما أنّ قمة النعيم أن ترنو إليه امرأة بنظرات حانية، لا أن تسمّمه بنظراتها المستهزئة.

كم كان يعذّبه أن يكون الضيف غير المرحب به في بيت خاله، مزدرىً من قبل هذه السيدة المسنّة ومحقّرًا في كل مناسبة، وإن طلبت منه القيام بعمل من أجلها فإنه يتوتر ويبالغ في إنجازه من فرط سعادته، حينئذ تطلب منه أن يكفّ عن التصرف بغباء وأن يتابع مراجعة دروسه.

جو منزل الخال المشحون بالإهمال يكبت أنفاس باتيك، الذي رغب بالانطلاق إلى الريف الواسع حيث بإمكانه أن يملأ رئتيه ويستنشق الهواء

Twitter: @ketab_n

بحرية، لكن لم تكن ثمة سهولٌ واسعةٌ ليفرّ إليها، وفيما هو محاط من الجوانب كلها ببيوت كلكتا وجدرانها ظل يحلم كل ليلة بقريته ويشتاق إلى العودة إليها.

أخذ باتيك يستذكر تلك المروج النضرة حيث يقضي جلّ وقته يطير طائرته الورقية، ويطيب له التسكع في تلك الضفاف الشاسعة وهو يشدو طربًا ويهتف بهجةً، وحيث يستحم في ذلك الجدول الضيّق ويغطس أنى يحلو له.

فكّر في العصبة التي تزعمها من رفاقه الصبية، وأكثر من أي شيء فكّر في والدته، تلك الأمّ المتسلّطة التي جارت عليه في حكمها، تسكُنه ذكراها ليل نهار، واعتراه إحساس غريزيّ بالحاجة إلى حب محسوس، وحنين إلى الوجود بالقرب من شخص يحبّه، وتوق لا يمكن التعبير عنه إبان الفراق، وصرخة صامتة تصدح من أعماق القلب تستجدي حنان الأمومة، كخوار عجل رضيع عند الشفق، ذلك الحب هو ربما غريزة حيوانية قد هيّجت هذا الفتى الخجول، القلق، الهزيل، الأخرق، والقبيح. لم يتمكن أحد من تفهّم هذا الإحساس إلا أنه ظل ينخر لبّه على الدوام.

لم يكن في المدرسة كلّها من هو أكثرانطوائية من باتيك، فاغرًا فاه كان يقابل أسئلة معلّمه بالصمت وهادئًا ظلّ يتحمل التوبيخ كحمار يئن تحت وطأة أثقاله. وفي حين يخرج التلاميذ الباقون للعب يلازم باتيك النافذة مكتئبًا وهو يرنو ببصره إلى أسقف المنازل النائية. وإن صادف بعض الصبية يلعبون في سطيحة ما اعتصر قلبه حنين جارف.

وفي أحد الأيام إستجمع باتيك شجاعته ليسأل خاله: «متى سأتمكن من

Twitter: @ketab_n

العودة إلى البيت ياخال؟»

أجابه الخال: «عليك الانتظار إلى موعد حلول العطلة».

لم تكن العطلة لتحلّ قبل شهر نوفمبر، ما يعني أنّ عليه الانتظار حتى ذلك الحين.

حدث أن أضاع باتيك كتابه المدرسيّ، وهو الذي طالما وجد صعوبة كبيرة في التحضير لدروسه مستعينًا بالكتب، أمّا الآن فقد أصبحت هذه المهمة مستحيلة. صار المعلّم يضربه بالسوط يوميًا دونما شفقة وأصبح وضعه المذل من البؤس بمكان أن جلب الخزي لأبناء خاله حتى باتوا يسخرون منه، ويتمادون في إهانته أكثر من غيرهم، أخيرًا توجّه إلى زوجة خاله وأخبرها بالأمر فزمّت شفتيها باحتقار وقالت:

«أيها القروي الأخرق، كيف لي ولعائلتي أن نتحمّل تكاليف شراء كتب جديدة لك خمس مرات كل شهر؟!!».

في تلك الليلة، وبينما كان باتيك عائدًا من المدرسة، باغته صداع قوي ونوبة ارتعاش، فخمّن أنه سيصاب بالملاريا، كان خوفه الوحيد أن يشكّل مصدر إزعاج لزوجة خاله!

في صباح اليوم التالي لم يعثر لباتيك على أثر، ولم تسفر عمليات البحث عنه في الجوار عن أي طائل. استمر وابل المطر طيلة الليل، وأولئك الذين خرجوا يقتفون أثر الصبي عادوا وقد بلل المطر جلودهم. أخيرًا قرر بيشامبر الاستعانة برجال الشرطة.

مع حلول المساء توقّفت عربة شرطة أمام مدخل المنزل، المطر لايزال

Twitter: @ketab_n

ينهمر ويغمر الطرقات، خرج شرطيان يحملان باتيك بين أذرعهما وألقياه أمام خاله مبللاً من رأسه حتى أخمص قدميه وملطخًا بالطين، وقد اشتعلت عيناه بالحمرة وتضرّج وجهه من جراء الحمى، فيما راحت أطرافه ترتعش بشدّة.

حمله خاله بين ذراعيه وتوجّه به إلى الداخل. شهقت الزوجة فور أنْ رأت زوجها وخاطبته:

ـ «يا لَكمّ المشاكل التي حلّت بنا من وراء هذا الصبي!!.. ألم يكن من الأفضل لك أن ترسله إلى بيته؟!».

سمع باتيك كلماتها وأخذ ينشج بصوت عالٍ: «خالي.. لقد كنت في طريق العودة إلى بيتي، لكنّهم سحبوني وأعادوني إلى هنا!!»

اشتدّت وطأة الحمى على باتيك واستمر في الهذيان طيلة تلك الليلة. أرسل بيشامبر في طلب الطبيب. فتح باتيك عينيه اللتين ألهبتهما حرارة الحمّى وحدّق إلى السقف قائلاً: «هل حلّت العطلة ياخالي؟ هل بإمكاني العودة إلى البيت؟»

اغرورقت عينا بيشامبر بالدموع، فأخذ يدي الصبي النحيلتين الملتهبتين ولازمه طيلة الليل.

بدأ الصبي يغمغم مجدّدًا، ثم احتدّ صوته وراح يصرخ: «لا تضربيني هكذا يا أمي.. أنا أقول الصدق».

في النهار التالي استعاد باتيك وعيه لآونة وجيزة. قلّب بصره في أرجاء الغرفة كمن يبحث عن شخص ما، وفي النهاية أطلق زفرة يائسة وترك رأسه

Twitter: @ketab_n

يغوص في الوسادة، ثم أشاح بوجهه صوب الحائط وتنهّد بعمق!

وعى بيشامبر ما يجول في خاطر الصبي، فدنا منه وهمس في أذنه : «أرسلت في طلب أمك، يا باتيك».

انقضى النهار وأقرّ الطبيب بصوت مكتوم أنّ حالة الصبي في غاية الحرج.

ارتفع صوت الصبي مدمدمًا «عند العلامة.. ثلاث قامات، عند العلامة.. أربع قامات، عند العلامة».. كان قد سمع بحّارة السفن البخارية في النهر يعلنون قراءة (الفادن)* . حينها كان هو يهوي في بحر لا يمكن سبر أغواره!

مؤخرًا، في ذلك اليوم، اندفعت والدة باتيك إلى جوف الغرفة مثل إعصار وأخذت تتلوى من جهة إلى أخرى وتنوح وتندب بصوت عالٍ. حاول بيشامبر أن يهدئ من روعها لكنّها ألقت بنفسها على السرير وراحت تولول «باتيك، يا حبيبي، يا ولدي!».

توقّف باتيك عن التململ لوهلة وكفّت يده عن التلويح إلى الأعلى والأسفل وغمغم قائلاً : «هاه»؟؟!

صاحت أمه مجدّدًا: «باتيك ياحبيبي ياولدي!».

أدار باتيك رأسه، ودون أن يبصر أحدًا قال: «لقد حلّت العطلة يا أمي».

(*)الفادن : أداة مكونه من خيط في طرفه قطعة رصاص يسبر بها غور المياه.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

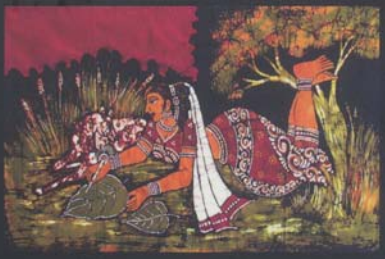

كيف كُتبت الرسالة الأولى

إيتالو كالفينو/ أنطوان تشيخوف
ترومان كابوتي/ روديارد كبلنغ/ طاغور

" لا تنتبه إلى الصلة بين عالم الأشياء و عالم الأرواح إلا كاتبة لها خبرة في قرع أجراس الصمت، عائشة الكعبي مهيأة لأن تكون كاتبة سينمائية من الدرجة الأولى "

عياش يحياوي (شاعر و إعلامي جزائري)

" الترجمة محطة ليست ببعيدة عن عائشة الكعبي التي تعيش الأدب حياة يومية تستقر وترحل حاملة هواجسه، و قد آثرت أن تحول حب كبار الأدباء العالميين إلى نتاج يستمتع به الناس، لا لها وحدها"

ابراهيم فاروق (صحفي و ناقد مصري)

" عائشة الكعبي أدخلتنا في ثنايا حالات إنسانية لأشخاص مهمشين، كما لو كانت قد حفظت درس التقنيةالتشيخوفية، وربما أضافت لها مفاجئات خواتم القصص كما لدى موباسان "

محمد الجزائري (ناقد عراقي)

"في كتابات عائشة الكعبي نجد تلك المفارقات الضدية والنهايات المدروسة والفكاهة المريرة، والكثير من الأجواء المفعمة بالمفردات والصور، بما فيها سياق نفسي وتقني وجمالي يجعلك على الدوام مشدودا إلى عالم الكعبي الذي يسير بسرعة نحو زمن العولمة، لكنه يدينه بصورة أو بأخرى. "

جهاد هديب (شاعر و ناقد أردني)

تلفاكس 5522544 6 00962 ص.ب 950252 عمّان 11195 الأردن